



المسيرة

أيار - حزيران ١٩٥٨

العدد الثاني والخمسون

## اكتشافات برية يهوذا

بنلم الاب بولس مورتد اليسوعي

لم يحن بعد الأوان لكتابة الصفحات الجازمة بخصوص الآثار المكتشفة في برية يهوذا في ضواحي البحر المائت ولا يمكن التأكيد بان المستقبل لا يستبقي لنا مفاجأة محبا آخر جديد. ثم وان فرضنا ان هذا لن يكون فان عدة آثار لم تُنشر بعد وفحص الآخر هو بعيد من ان ينتهي.

مع ذلك اتنا نرى مناسبا بعد ان مرت عشر سنوات ان نعطي تلخيصا بياناً عن الحاصل المكتتب وعن الآمال المحتملة وتساعدنا على ذلك ثمرات حديثة جداً عديدة منها بنوع اخص كتاب صغير ظهر في ربيع سنة ١٩٥٧ في مطبوعات «الشرق» تأليف الاب ميليك وهو واحد من اعم العاملين في «جمية اورشليم». عنوان الكتاب «عشر سنني اكتشافات في برية يهوذا».

## مجموع الآثار في الماض

في سنة ١٩٤٨ أخذت اكبر جرائد العالم كله تنشر اخبار اكتشاف مخطوطات قديمة جداً وجدت قرب البحر المائت وتكلم عن عظم اهميتها .  
 بدريون من قبيلة التماميرة الرحالة - المحاضرة وهم رعاة يتجولون في جنوبي اريحا اتوا بهذه المخطوطات اولاً الى بيت لحم ثم الى القدس . اول الشارين - لاربع كتب نجس قطع - هو المطران السرياني الاورثوذكسي مار اثناسيوس يشوع صمويل الساكن في دير القديس سرقس الشهير في المدينة القديمة (في ربيع ١٩٤٧) ثلاثة كتب اخر بست قطع اشتراها في تشرين الثاني الاثري الكبير الاسرائيلي ل . و . سوكينك .

السيد المطران صمويل راغباً بيع مقتناه بثمان كبير عرض يتحفظ أدراجة لعدة اشخاص مختلفي المعرفة جداً .

وكاد هذا التلاعب يدوم زماناً طويلاً دون فائدة لو لم يمزق المطران اخيراً على السباح لعلماء اختصاصيين برؤية الأدراج باكثر من عرض سريع فقد رضي في الآخر باظهارها واعارتها ثم فُتخس لمدرسة التنقيش الاميركانية (American School of Oriental Researches) المقيمة في المدينة الجديدة من جهة المتحف . سُرسل المطران لم يجد المدير السيد ميلور بروز لان كان اذ ذاك يتجول خارجاً عن فلسطين لكنه وجد اثنين من معاونيه كلاهما من الشبان صار اسمها مذ ذاك شهيراً وهما وليام هـ . برونلي وجوهن سن . ترينفور . وهذان ما لبثا ان عرفا تاريخ الآثار التي استلهاها وعظم قدمها وتحققا وجود كتاب لاشعيا وتوصلا الى اخذ صورة فوتوغرافية لكل الأدراج الا لواحد عالجا عجباً حله وتمكنا ايضاً من أخبار « البرايت » العظيم من جهة المحيط الاخرى فانقض حالاً بمحنة .

جرائد العالم باسره وقد نهتها بذلك اسرائيل ايضاً ردّدت مجلبة صدها منذ نيسان . لكن الحالة لم تكن سهلة في القدس لان كل تنقل كان اذ ذاك عيراً ومعرضاً للاخطار . دير القديس سرقس عينه أصيب بضرب القنابل . ثم ان بروهله وترينفور وروز تركوا البلاد عائدين الى امريكا . قد انذروا ..

الصعائف الفوتوغرافية وفي مدة سفرهم بالبحر اهتموا باعداد طبقات مستقبلة .  
والمطران صموئيل باسر من بطريركه سافر- هو ايضا الى اميركا آخذاً معه  
المخطوطات المشهورة . كان هذا التصرف خيراً قانونياً لكن له عذره وهو انه  
لم يكن حينئذ في القدس سلطة محددة فان الانتداب البريطاني كان قد انتهى .  
هوذا قائمة هذا القسم الاول من الاكتشافات :

## ١ : مفتاح المطران صونيل

١ : درج يحتوي كتاب اشيا عجيب يحفظه كامل او تقريباً كامل . رغمًا  
عن قدمه وعن رضة الكتابة - فانه مُثَقَّل بنوع شاذ مجروف لاحقة -  
(matres lectionis) لم يأتنا بمعارف جديدة فيما يخص نص الكتاب المقدس  
فانه لا يختلف الا قليلاً عن النص المادي او المأثور (massorétique)  
٢ : مجلد محذوف منه في اوله ومُتلف في مواضع اخرى يحتوي تأويلاً  
لكتاب جتوق . هذا التأويل كان يفسر النص المقدس بنوع موافق لتاريخ  
شيعة يهودية .

٣ : درجان - وفيها هما ايضاً خلل - كانا يحتويان مجموع تعاليم مختلفة ادبية  
ودينية ورسوم تهنيدية : قانون هذه الشيعة او يقسم من هذه الشيعة المنقطعة الى  
حياة من الترع الرهباني . هذا الاثر سنوه منذ الاول الكتاب التهنيدية .  
٤ : درج خامس - مجلد مُفَسَّد جزئياً - لم يمكن حله في القدس ولم  
يُجَلَّ الا سنة ١٩٥٥ . لم يلاحظوا اولاً الا انه مكتوب لا باللغة العبرانية  
لكن بالارامية وبانه يحتوي ولا بد تأليفاً محرّفاً (Apocryphe) .

## ٢ : مفتاح سوكنيك

١ : مخطوط آخر لاشيا ناقص سيء الحال ذو نص هو عين نص الكتاب  
المقدس المأثور .  
٢ : اربعة ادراج او قطع ادراج فيها مواضع مُتلفة تحتوي مجموع اثنا عشر  
مخمس هذه الشيعة .  
٣ : كتاب للشيعة عينها عنوانه : «سنة الحرب» . وقد ساء سوكنيك :  
كفاح ابناء النور ضد ابناء الظلمات .

سوكنيك في وسط المقاتلات بين اليهود والعرب حيث كثيرون من ذويه كانوا متجندين توصل الى اسباق نشرات الاميركان المقابلة بطبع كراسة جميلة في حزيران ١٩٤٨ بهذا العنوان : « ماغيتوت غيتوزوت ميشخ جيتزا قيدوما شنيشما بيدبر يهوذا » - فمناه : مخطوطات قديمة مخفاة صادرة من « جيتزا » موجودة في برية يهوذا - هذا العنوان يدل على انه اعتبر مغارة الاكتشاف « جيتزا » ( اي : محل تواضع فيه المخطوطات الثفايات ) متعلقاً بكينيس مفروض في هذه الغراري المقفرة . وهذا ظن بعيد التصديق . كراسة ثانية تبعت في سنة ١٩٥٠ . الكراستان كانتا تعرفان بجموع الاناشيد وبكتاب ستة الحرب لكن دون نصوص كاملة . الطبعة التامة تأخرت بسبب موت سوكنيك ولم تظهر الا في سنة ١٩٥٤ باللغة العبرانية ثم في ١٩٥٥ باللغة الانكليزية .

بفضل جهود السيد و . برونلي ظهر بسرعة نص كتب ثلاثة من القائمة الاخرى وهي اشيا وتاويل حيقوق في سنة ١٩٤٨ ثم بعد زمن قصير كتاب التهذيب والترجمة الى اللغة الانكليزية في ( Bulletin of American School of Or.R. ) منذ ١٩٥٠ و ١٩٥١ يزو وتريميز و برونلي اتوا عملهم بنشر مجلدين جميلين من « صور طبق الاصل » ( facsimilés ) .

اما المخطوطات عينها فلم تجد في اميركا من يشتريها . لم يتوصل سعادة المطران صموئيل الى بيعها الا سنة ١٩٥٤ بشمن غال ٢٥٠,٠٠٠ دولار : اشترتها دولة اسرائيل وهي تجمع الآن معاً المخطوطات السبع الاولى .

دون انتظار الاكتشافات التابعة - ولم يكن من ينتظر اهميتها - اقبلت جماعات علماء الكتاب المقدس والآثار وغيرهم من الاختصاصيين ذوي جدارة مختلفة على الاستفادة من هذا الحظ . في اميركا وانكلترا والمانية وفرنسة وفي بلاد اخرى اتملت البحوث الى تراجم الظنون والاهام والى بحث مجادلات حامية .

نعلم ان السيد دويون - سوتو اول مجرأة بعض المواضع من تاويل حيقوق بنوع انه اعتقد بوجود سيا . يسوع المسيح الجوهري في شخصية رب المعدل اللغزية : الآلام والقيامة والمجي . المقبل حتى والاصل الالهي . كانت هذه تجربة خطيرة للغاية وهو نفسه تركها تماماً ثم رفضها كل العلماء ذوي الجدارة وقد اتفق هؤلاء بالخصوص على انه بموجب ما توحى به النصوص عبارات كثيرة يلزم ان

نفسها لا عن ربّ العدالة لكن عن عدوه الكاهن الكافر وهذا ما يغير كثيراً اوضاع المشكلة .

والحق هو انه من هذه القطع ومن التي سوف نُعَمِّم اليها فيما بعد سينبث أضواء ثمينة تنير المجتمع اليهودي في ايام يوحنا المعمدان وحياة المسيح التلميذة والكنيّة الاولى .

لوتوقف الباحثون عند نواضع الايام الاولى لربما بقيت ايضاً المجادلات دون جدوى وحقيقة الإدراج نفسها مريية .

المهم الاول كان على الاقل التفتيش عن المحل الذي فيه كان الاكتشاف . كان يدويو تميرة قد تكلموا عن مقارة تقع في نواحي البحر المائت وكان المكتشف معروفًا جيدًا ومُعتبًا وهو شاب من قبيلتهم اسمه محمد الديب . الرواية « الرسمية » تقول بانه وجد المقارة عند تفتيشه عن عترة ضائعة وفي هذه الاثناء وقف ليتريح هنيهة ثم نطرح على باله ليتلهم ان يلقي حجراً في ثقب فسبح له عند سقوطه صوت خرف يتكسر وهذا ما حمله على الرجوع الى المقارة بعد زمن قليل مع ابن عمه احمد محمد فوجد فيها ما عدا شقفاً مكسرة ثمانية جزار صحيحة احداها تحتوي على مخطوطات . لكن ذلك في شباط او اذار من سنة ١٩٤٧ .

كل العلماء الاوروبيين والاميركيين كانوا راغبين في الذهاب الى المقارة لرؤيتها . لكن احوال البلاد جعلت وقتياً ذلك الجولان صعباً منقطعاً خصوصاً للاجانب . في كانون الثاني ١٩٤٨ بواسطة ضباط انكليز من الجوقة العربية والضابط البلجيكي ليونس مراقب جمعية البلاد المتحدمة عرفت المقارة المذكورة ثم بعد قليل ذهب الى زيارتها مناظر مصلحة الآثار الاردنية ج . ل . هاردنغ والاب المحترم دي فو وآخرون . لسوء الحظ كان قد مر فيها خفية قتلهم بقليل اناس حفروا الارض وقلبوا منظر المحل وقد تركوا عدداً من الحطب ومن اجزاء مخطوطات . اذن مقارة الاكتشاف هي هذه ولا شك بعد بحقيقتها .

تفتتح المقارة في منحدر ارض تطل على البحر على حافة تائق صخري من جهة الشمال الغربي - الجنوب الشرقي يصل بزواوية حادة الى شاطئ البحر المائت في رأس فشكا بالقرب من واحة تقيها مياه عين فشكا . قد استعملوا مدنة من الزمان هذين الاسمين في الشرات لتعيين موقع المخطوطات .

في الشمال هذه الحفنة باتجاه طريق اريحا متوازيًا يمتد وادي وادي قران لا  
ما. فيه في اكبر جزء من السنة ثم من الجهة المقابلة لهذا الوادي رصيف تراب  
صعب المنحدر . على هذا الرصيف كانت تقوم انقاض باسم خربة قران .

هذه الانقاض كانت قد بقيت دون كشف وهي معروفة من زمان طويل  
وبخصوص اهلها كانت التخمينت شتى : أتكون قلعة رومانية او مدناً او  
عمارة عربية لم يكن من يعلم ذلك . يوجد حديث يعتمد على لفظ البدويين  
لاسما « غمران » يقول بانها عمرة المذكورة في الكتاب المقدس .

السيد هاردنغ والاب دي فو بعد كشف قصير لهذه المواضع لم يريا جدراً  
بان يعمل حفريات حقيقة فياً . لكن غيرهم كتبوا يطالبون بها وخصوصاً العالم  
الكبير الالماني بول كهلي . ثم يوشر العمل دفعة اولى مدة خريف وشتاء  
١٩٥١ . كان رأي كهلي حائياً للغاية فان هذه الحفريات والتي تبسب سنة  
١٩٥٣-١٩٥٤-١٩٥٥ افضت الى نتائج عظيمة الفائدة .

في تلك الاثناء لم يخطر على بال التفتيش في تخاريب فشكا او مغاور  
اخرى في النواحي للبحث عما يكن ان محتويده هي ايضاً للاعتقاد السائد بانه  
ليس هناك ما يهم الا المخطوطات الكبيرة والجزئية التي وجدت في المغارة  
الشهيرة ونظماً الوحيدة .

لكن البدويين كانوا قد لاحظوا اهمية عتائق صخورهم بنظر علماء الآثار  
وعددوا الفوائد العظيمة التي يكتسبونها .

اذن عادوا من جديد الى القدس في كانون الاول ١٩٥١ وبايديهم قسم  
آخر مختلف جداً عن الاول : حفرت جودها في وادي مرمبات على بعد  
٢٥ كيلومتراً من جهة الجنوب وفيما كانت تجري عليه آثار تخص بعض  
اليهود الثاني من سنة ١٣٢ الى ١٣٥ من ترميخنا في زمان كان المتوردون يأرون  
الى هذه المغاور تفتيشات رسمية تمت اقتناء المخطوطات واثار اخرى غيرها قديمة .

كذا حدث ايضاً لحربة مبرد : انقاض دير مبني هو ايضاً في موقع قلعة  
هيراكليون للاسرتيين . بعد البدويين جاء من لوفان علماء آثار ووجدوا نصوصاً  
بتاريخ نهاية العصر البيزنطي وبند العصر العربي .

من محل آخر بقي مجهولاً جاء التسمية سنة ١٩٥٢ بقسم آخر وما يحتويه  
برديات نبطية .

هذه اللقطة التي بحجرتها وبمحلها الاصلية خربية عن مجموعة قران لما هي  
ايضاً اهمية كبيرة وسوف نمود الى الكلام عنها في آخر هذه الاسطر .  
لكن بفضل مداخلة التسمية المستمرة كانت منحدر فشكا ونواحي خربة  
مزمنة ان تسلنا كنوزاً اخرى عديدة .

بعد ذلك اوضحت مقارة الاكتشاف الاول الشهيرة المقارة ١ (ق ١ في قائمة  
اصطلاحات «القرانيين») فانه منذ شباط ١٩٥٢ تثبت بان البدوين قد وجدوا  
مستودعاً آخر (ق ٢) لكنه ليس غنياً جداً .

انتبه علماء الآثار الى ذلك فأصرعوا الى كشف منظم لكل مخاريب  
منحدر فشكا على جبهة طولها ثمانى كيلومترات . عشرون مقارة تقريباً كانت  
تحتوي آنية من الفخار تشبه التي وجدوها في خربة وفي واحدة منها (ق ٣)  
قد وجدوا مخطوطات احداها هي فريدة في نوعها : درجان من نحاس عليها  
نص عبراني منقور . (٢٢-١٠ آذار ١٩٥٢)

بعد انتهاء هذا العمل غلب الظن بان اللقطة اكتملت وان بضاعة آثار  
قران كلها قد جمعت .

كان هذا الظن باطلاً فالتسمية ابطال الكشف الاثري الحقيقون انتبوا  
بعدئذ ذلك جلياً ان المحل الذي تم التنقيب فيه هو منحدر من حجر كلسي  
جيد تثبت فيه اغوار قاذرة على مقارمة الاجيال وتقديم ملاجئ امينة ولو جافية  
للانسان ومخطوطاته . اما من جهة الوادي الاخرى فكان يوجد ثقب متروحة  
لكن في تراب كلسي تمزج بصلصال وهي قلما تجذب الناظر اليها . اذا  
افترضنا بان هذه الثقب هي مداخل لمقارم قليلة المتانة فهل يطرأ على فكر  
انسان بان يعمد اليها يودائع ثينة وهل يمكن ان تحفظها مدة اجيال صالحة  
لافاذة ولو غير صحيحة .

البدوين انفسهم لم يكونوا بلا شك يحسون ذلك لو لم يدفعهم اليه ذكر  
حادث قديم شبيه بالذي حدث لمحمد الديق سنة ١٩٤٧ . رجل من القبيلة شيخ  
سمع الشبان يتكلمون عن اعمالهم الراجحة فرأى ان يتكلم هو ايضاً، لقد حدث

له قديماً أيام شبابه انه كان يوماً يتبع في الوادي حجلة وانها ذهبت واختفت في ثقب باتجاه الحراب فدخل هو ايضاً الى الثقب ومنه اخذ مع الحجلة سراجاً عتيقاً وآنية من الفخار . فاستفاد ساموه من هذا الخبر وبعد زمن قليل شبان اخذوا معهم حبلاً وزرادة وادوات ومشاعل وتوجهوا الى الغار الذي دلت عليه اقوال الشيخ ، فكان لهم الحظ بوجودها ولما وصلوا الى داخلها اخذوا بتجزيل تواب الردم الذي كان يغطي الارض لقد التزموا بقلب عدة اثار مرهبة من التراب وحينئذ رأوا امامهم مستودعاً خارق العادة اغنى من كل مستودعات النواحي (ق ٤) كان هناك مخطوطات قد لوثتها الوحل مخزقة اجزاء لا شكل لها ، لكن بمقدار غير عادي . آلاف من قطع الجلد الصغيرة وجدت هناك وهي توازي تقريباً اربعة مخطوطات .

مستودعات اخرى اقل اهمية (المناور ١٠-٥) اكتشفت بقرب الحراب  
أخذ منها كل ما احتوته

الاكتشاف الاخير حدث في ربيع ١٩٥٦ في منحدر فشكا . كان هناك غار مردوم المدخل ولم يكن ما يدل على وجوده الا شق بارز فوق كومة القمض . مذاقة التعميرة المجدبة الرغية وحدها قدرت ان تكشفها .  
وكانت التعميرة قد استفادت فائدة ضخمة من المناور الاولى وخصوصاً من المائة ٤ الحارقة العادة . قد دفنت حكومة الاردن خمسة عشر الف ليرة سترينغ لكن هذه القصة لم تكف فاضطرت مؤسسات علمية عديدة ان ترصد عليها حصتها بما وجب دفعه .

احد عشر مستودعاً من المخطوطات (المناور ١١-١ منها ١ و٤ و١١ هي الاهم) هذا هو عدد اكتشافات قران الحالي وهي تكون مجرماً متجانساً هو كما سبى متناسباً مع سكان ابنية الوصيف المجاور . الى هذا المجموع أضيف ما أتيت به من مختلف المخطوطات وآثار شتى لتواريخ مختلفة وجدت ابعده جنوباً وشرقاً في وادي سربت وخربة مبرد .

كل ما اعطته هذه الاكتشافات مجرع اليوم اقل ما يكون وقتياً في متحف القدس الاردني ما عدا سبعة ادراج المائة الاولى فهي بجوزة اسرائيل كذلك ما تبقى بعد عند البديين ولسوا الحظ ايضاً يوجد قطع عند افراد

اشتروها ولا يقدرّون ان يفيدوا منها البتة .

المجموع جسم وأجسم منه العمل الذي يتطّلب .

بعد الحصول على محتوى المغارة ، صار من الواجب اقامة جمعية دولية مؤلفة من اختصاصيين من شتى الطوائف المسيحية يهتمون ببسط الادراج وتصنيفها وتصويرها وقرانها وترجمتها : عمل عظيم للغاية .

اعضاء هذه الجمعية هم : المونسنيور ب. و. سكينفن معلم في جامعة واشنطن الكاثوليكية . وف. م. كروس من «ملك كورمك تيولوجيكل سميناري» ( Mc Cormick Theological Seminary ) وهو متفوق في علم الخطوط والكتابات العتيقة . وج. م. اليغرو مساعد في جامعة مانشستر . وج. ستروغويل من اكسفورد . وس. ه. هوترنغر من جامعة غوتنغن والاب جان ستاركي والاب ج. ت. ميليك وكلاهما على حساب المركز الوطني الفرنسي للتحقيق العلمي (Centre national français de la Recherche scientifique) . مهمة خصوصية تسلمها الاب م. باتيا وهو معلم في جامعة تولوز الكاثوليكية فقد فوّض اليه امر القطع التي أخذت من المغاور ٢ و٣ و٦ .

بتدقّعون نشر عشرة مجلدات للطبعة التامة للكل بهذا العنوان : اكتشافات في برية يهوذا ( Discoveries in the Judaean Desert ) ظهر منها الاول فقط في اكسفورد سنة ١٩٥٥ وهو يختص بالقطع المكتشفة في المغارة الأولى .  
قطيع جديدة نُشرت على حدة خصوصاً في مجلة الكتاب المقدس (Revue Biblique) ومجلة تاليف الكتاب المقدس ( Journal of Biblical Literature ) . فيما يخصّ القطيع التي لم تُنشر مع التي حُتق فيها حديثاً أعطانا عدة معلومات خصوصاً كتاب الاب ميليك فانه جدير ليكون في طليعة المستعملين في هذا الموضوع .

انا نرى مفيداً اختتام هذا الدرّض التاريخي للاكتشافات بتؤجّر تاريخي :

— بد. ١٩٤٧ : اكتشاف المغارة . اكتشافها التعميري محمد الديب — في مدة ١٩٤٧ : بيع المخطوطات السبع الاولى جزء منها للتروبوليت صموئيل وجزء للجامعة العبرية .

— سنة ١٩٤٨ : التثبت من المخطوطات والابتداء . بنشرها — بد. باحثات مهمة بين الملّا . ردّدت شتى اصديتها التاليف الكبيرة والملا .

- سنة ١٩٤٩ : التثبت من المغارة ١ . دوام المجادلات دون ان يقع امر جديد بينها .
- سنة ١٩٥٠ : لم يحدث حادث جديد في الموضوع .
- سنة ١٩٥١ : لقطات البديون في وادي مرتبط . اول مباشرة حفريات في خربة قران .
- سنة ١٩٥٢ : السنة الكبرى للاكتشافات .
- حفريات في وادي مرتبط . اكتشاف المغارتين ٢ و ٣ ( الربيع ) . الصيف والحريف : يجد البديون خربة ميرد ثم المغارة ٤ . تفتيش واكتشاف المغاور ٥ و ٦ و ٧ .
- سنة ١٩٥٣ : حفريات بلجيكية في خربة ميرد .
- : تفتيش جديد في خربة قران .
- سنة ١٩٥٤ : تفتيش ثالث في خربة قران . دولة اسرائيل تشتري المخطوطات من المتروبوليت صموئيل .
- سنة ١٩٥٥ : تفتيش حفريات رابع في خربة قران ونواحيها وكشفت المغارة ١١ .

#### تاريخ مخطوطات قران

قبل الحفريات في قران من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥١ الادلة المساعدة على تأريخ المخطوطات التي وجدت في نواحي قران لم تكن واضحة بالكفاية . علم الحطوط والكتابات القديمة كانت تشير ولا بد اني يقدم كبير لكن يصعب تحديده . طريقة الراديو - كربون التي استعملت باقلافا اقشعة كانت مع المخطوطات اعطت عند الفحص سنة ٢٣ من تاريخنا . لكن لهذا الاسلوب احتمال خطأ قد بلغ الى سنتي سنة فتكون اذ ذاك المدة متراوحة بين ١٦٧ الى ٢٣٣ من تاريخنا .

علماء عديدون خصوصاً البديون عن موقع الاكتشافات او هم مؤرخون اكثر مما هم علماء . بالانار كانوا يملون مبدئياً وتحفظاً لتواريخ متأخرة . لذلك نرى العالمين الكبيرين في الامور الدامية بول كيلي وج . ر . ديريتر يدفعان تاريخ المستودع الى الجيل الثالث بل حتى القرون المتوسطة . علماء اسرائيليون

اتوا المجادلة بملومات ثمينة امكن ايضاً بأرا. متصلة للغاية فبرأي دل ميدكور وسوكنيك نفسه مستردع مخطوطات باللغة العبرانية هو ضرورة « جنيزة » كنيس ولو وجد في برية منزلة . وسالومون زيتلين مدير مجلة (Jewish Quarterly Review) ارتأى اءبداً على مبدأ اول للبحوث اليهودية بأنه « لا تأويل اقدم من العصور المتوسطة والحال ان مكتشفات البحر الميت تحتوى تأويلاً . اذن . . . »

بالمكس بمثلان كبيران للتفتيش في نرضه السيد هاردنغ والاب المحترم در فو ومعها آخرون يرتأون حسب ادلة الآنية الحزنية بان جرار المقارة هي من العصر اليوناني لا الروماني فيكون اذن المستودع سابقاً لتاريخنا بشين سنة على الأقل .

دون اثباتت جديدة أكان ممكناً التوصل الى حل أكيد . هذه الاثباتت الحـن الحظ اعطتها بمدنذ حفريات خربة قران .

فقد كشفت - دون ان تعطينا مخطوطات - عن ابنية تقابل بنوع جلي مستودعات المناور كانت تسكن فيها الشيعة اليهودية التي يكلنا عنها « التأويل لحقوق » و« كتاب التهذيب » وقد وجدوا ايضاً فيها آنية من خزف تشبه التي وجدت مع المدرج . وجدوا ايضاً فيها نقوداً تدل دلالة تبين ثابتة على ان اعضا. هذه الشيعة كلوا قد اقاموا فيها عند منتصف الليل الثاني قبل تاريخنا ويظهر جلياً جداً بانهم لم يتسكنوا على المكوث فيها الى السنة السبعين من تاريخنا . ما عدا ذلك ان آثار حريق شديدة وتبور الجدران وسقوط سقف على كومة من الآنية المنتظمة تدل على ان الابنية سكنى هذه الجماعة لم تترك اختيارياً لكنها هُدمت هدماً . وان حدود سهام بثثة الاجنحة خاصة بالسلم الروماني وبقايا وتعود تركها الجنود فوق الردم تساعدنا على تصور الفاجعة وتاريخها بتدقيق . يخبرنا المؤرخ جوزيف (يوسيفوس وهو يهودي) بان فسبسيان - وكان اذ ذاك قائدا للجيش المرسله لاختضاع العيصان اليهودي - انتقل في صيف سنة ٦٨ من قيسرية الى وادي الاردن وهو رئيس للفرقة العاشرة ( X Legio Fretensis ) لا بد ان هؤلاء الجنود قد اهتموا مأ بتحصين اريحا وبالتضاء على كل جماعات المقاومة الموجودة والذين يأتون من بعد في النواحي . فكانت قران من هذا المدد وعلى

اخريتها قد اقيم مدة طويلة مركز جنود للمراقبة .  
 اذن عندنا هكذا امر اكيد بخصوص تاريخ مستودعات المخطوطات فانها  
 كلها سابقة لحراب ابنة خربة قران الذي حدث سنة ٦٨ . قد يكون بعضها  
 خاصاً بكتبة شخصية لعضو من اعضاء هذه الشيعة كان يكن في الليل على  
 الاقل في الماور لكن الاعم من هذه المخطوطات وربما جميعها هي قسم من  
 مكتبة عمومية قد أخفي عمداً ووضع باعتناء في اجرار قد أغلقت غلقاً مُحكماً  
 خوفاً من نكبة منتظرة .

قد أخفيت المخطوطات المكتشفة في فواحي قران قبل سنة ٦٨ فهي اذن  
 سابقة بقليل او بكثير لهذا التاريخ . اسباب مأخوذة من قسم الخط تدل  
 على ان بعضها قد كُتب قبل تاريخنا وان كتاب صموئيل المحفوظ بقطعتين او  
 ثلاث قطع قد يكون من الجيل الثالث قبل السنة المتين .

#### مضرن مخطوطات قران

في قران لم يجدوا لا مراسلات ولا اوراق اشغال ولا غيرها من كتابات  
 اقل اهمية فنوع حياة الجماعة لم يكن ليكثرها ولما دعت الحاجة الى انتقاذ  
 كنوز المكتبة من التزاة لم يكن هنالك ما يستحق ذلك غير الكتب الحقيقية .

يمكن تصنيف هذه الكتب تحت اربعة عناوين :

كتب العهد القديم «القانونية الاولى» (التي يتضمنها الكتاب المقدس المبراني) .  
 الكتب «القانونية الثانية» (التي لا توجد في الكتاب المقدس المبراني

لكنها موجودة في «البعينية» اليونانية ( la Septante )

كتب «محرقة» ( apocryphes ) .

كتب الشيعة واكثرها دينية .

١ : كتب العهد القديم

الى اليوم لم يكن عندنا العهد القديم بلنقه الاصلية الا بمخطوطات جميلة جداً  
 وفي حالة حسنة لكن اقدمها مجموع (le Codex Petropolitanus) مراسيم : هو  
 من سنة ٩١٦ من تاريخنا . ليس عندنا الا بردي مجهول التاريخ، البردي «ناش»  
 يحفظ اسطراً مكتوبة من عهد قديم حقاً .

حالة تقليد مخطوطات العهد القديم هذه. كانت جديرة بالاسف بالخصوص لانها كتبت بعد ان ثبت يهانيون متخضصون نصاً منتخباً بتدقيق ، وكانت تنسخ بامانة خارقة العادة بحيث ان مفسري الكتاب المقدس لا يجدون فيها شيئاً من الفروق بالنسخ : من هذه الفروق التي فيها يلقى احياناً النص الاول الحقيقي والمعنى الصحيح لعبارات لا تزال تفهم بغير معناها الحقيقي . النصوص الكتابية التي وجدت في مربيط وهي تبعة لهذا التثبيت المفرط يثبت فقط لنا منذ زمن قديم . ما عسى مخطوطات قران تعطينا بهذا الخصوص .

لقد اعلتنا خاصة بان نص الرومانيين او النص المأثور ( massorétique ) يطابق تقليداً ثابتاً لا يمارضه الا مثال اصلي واحد كان مترجمو السبعينية قد اعتمدوا عليه . مخطوطات قران تتبع اغلب الاحيان هذا المثال لا المثال المأثور فيما يخص الكتب التاريخية وقد يكون هذا المثال الاثنت فيما يخص هذه الكتب . ما عدا هذه النتائج المرمية تعطينا مخطوطات قران الكتابية عدداً من الفروق منها جزء صغير وجد في مخطوط المنارة الشهيرة ومن المحتمل ان يتخذوها كقراءة ثابتة لبعض كلمات اشعيا .

مماور قران قد اعطتنا - بمخطوط تلم تقريباً لاشعيا وبقطع مختلفة القدير وحياناً عظيمة لاسر الكتب - نصوص كل كتب العهد القديم العبراني ما عدا كتاب استير . عندنا قطع لاكثر من عشر مخطوطات مختلفة لتثنية الاثراء واشعيا والاتبيا . الصغار والمزامير . المنارة ١١ كانت تحوي درجاً للمزامير لم يدرس بعد ومخطوطاً لسفر الاحبار ومخطوطاً آخر لكتاب ايوب وهو منقول الى اللغة الآرامية .

في المخطوط الكبير لاشعيا نلاحظ في الفصل الثالث والثلاثين اسقاطاً قد يكون اثرًا لزمان اكثر قدماً لم تكن بعد فيه قد تحمقت وحدة الكتاب الحالية :

وقد لاحظوا ايضاً بان كتاب المزامير يتبع ترتيباً مختلفاً عن ترتيب كتبنا . بعض القطع تقريباً كثيراً حتى من تاريخ تأليف الكتاب . هكذا نسخة سفر الجامعة تتبعه بقرن واحد فقط وتلسخة دانيال قد يكون التأخر نحو خمسين سنة .

٢ : نصوص كتب العهد القديم « القانونية الثانية » .

نعرف بان « جنيزة » القاهرة - وقد انتفع منها البعض منذ سنة ١٨٩٦ الى ١٩٠٠ - قد سلمتنا النص المبراني لكتاب يشوع بن سيراخ ( Ecclésiastique ) وكان الى هذا التاريخ عندنا مجزئاً . وفي المارة ٤ بين القطع التي ظهرت وجد اجزاء من نفس هذا الكتاب ( ٦ : ٣١-٢٣ ) .

أحدث هو ظهور كتاب طوبيا وكان القديس ابروغيوس قد وجده واستعمله وهو باللغة الآرامية وحسب قول القديس باللغة الكلدانية في قران وجد منه قطع بالآرامية (مخطوطتان) وبالعبرانية (واحدة) .

٣ : الكتب المعروفة ( Apocryphes )

من هذه الكتب نعرف للعهد القديم ثلاثة كباراً محفوظة في مخطوطات مسيحية بترجمات اليونانية واللاتينية وخصوصاً الاثيوبية : كتاب اليريميات وكتاب اخنوخ ووصية الآباء الاثني عشر . رغمًا عن تأكيد وجود نصوص مسيحية مدرجة فيها كانوا يظنونها جوهرياً من اصل يهودي .

ان اكتشافات قران قد ثبتت هذا الظن بخصوص كتاب اليريميات لا فيما يخص اخنوخ ووصية الآباء . من تراجم اخنوخ المسيحية يظهر ان جزءاً كبيراً هو ادراج المؤلف ومن المحتمل ان يكون هذا يهودياً - مسيحياً وحسب شهادة عشر من مخطوطات قران لم يكن للاقدمين اليهود فيها الا جزءان اي سفر اخنوخ ثم رؤياه وقد يكونان كتابين منفردتين . قطع من مخطوطات المغاور تعطينا وصية اللاوي واخرى لفتالي وقد تكون هاتان الوصيتان المعترقتان تطمئن استفاد منها واوجزهما يهودي - مسيحي من الجيل الثاني وادرجها بدعارة في مجموع كامل « لوصايا ابنا . يعقوب الاثني عشر » .

مع الكتب المعروفة المعروفة برزت تأليف اخرى . الدرج الآرامي بعد التوصل بصعوبة الى حله وبمه ادراج اخرى للتربوليت صموئيل بطينا تقيرا لكتاب التكوين من نوع المدايش الساذج . هذا الكتاب المتور في اوله يبدأ بكتاب اللامك وهو يخبر فيما يخبر به عن ثقل نوح عند ولادته . ثم يتبع كتاب لروح وهو يتدى بهذا التصريح الوديع : « كل ايام حياتي قلت الحق دائماً » .

ثم تأليف باسم مستعار ارميا عندنا منه بضع نسخ لا يشبه ما كنا نعرفه الى الآن من هذا النوع .

ودرج صغير ارامي عنوانه صلاة نابونيد وهو جدير بالانتباه .

نعرف الفصل الرابع من كتاب دانيال الذي يكلمم فينا المخيلة خصراً :  
يمرض علينا نبوخذنصر العظيم مصاباً بمرض غريب يضطوره مدة سبع سنين الى ان يعيش حياة حيوان وحشي في قصره في بابل ثم يشفى بواسطة دانيال بعد ان يصلي الى الاله الحقيقي . التأويل حتى الذي يميل الى قبول حقيقة الكتاب التاريخية قبولاً تاماً كانت مرتبكة لا تقط بنوع المرض الشاذ لكن ايضاً باسم نبوخذنصر وباسم بابل . الامكان الوحيد لوجود ملك كلداني في شدة طويلة الأمد هي باسم خليفته نبونيد المنفرد مدة سبع سنين لا في بابل لكن في واحة تيا . وهذا عارض كانت تواريخ الملكة تذكره صريحاً . القطعة الجديدة تخص نبونيد بهذا الحادث وتعين مدينة تيا . محلاً لمرضه واهدائه الى الاله الحقيقي . هذه رواية اولى اقل شهداء واول نبوة عن الحوادث التاريخية للحدث الشهير الذي وقع لنبوخذنصر المتحول الى بهيمة .

٤ : كتب جمية قران

في المكتشفات الاولى كان يوجد مدرج مقطوع الى جزئين مشهور في اوله يحتوي قانون جمية مقيمة في قران سماه الناشرون « كتاب التهذيب » وهو مجموع اوامر وتعليم ادبي ينتهي بنشيد . هذا الكتاب يكلمنا طويلاً عن اعمال ساكني هذه المحال وعن افكارهم لكنه يتبع عن تفصيل ظروف الحياة العادية والميعة المشتركة التي كنا نسمي ممرفتها .

قطع المتارة ١ زادت عليه « المبردين » صفحة ظنوها اولاً شيئاً من الجزء البدني الناقص من كتاب التهذيب لكنها اقل ما يكون من النوع عينه .

بعد ذلك ومراراً عديدة مع قطع من كتاب التهذيب برزت اسطر من تأليف كان لدينا اصله من « جنترة » القاهرة « حجة الشام » وهو باق الى الآن منفرداً : هو قانون مثل كتاب التهذيب يشبه كثيراً لكنه لا يفرض عند الذين يقيمونه عين انواع الحياة الاجتماعية بمصر المعنى . وجوده في قران يدل على

ان الاثنين يصدران من الشيعة اليهودية عينها وانه يمكن الانتفاع من الاثنين  
مما للاجتهد في تشخيصها . هذا ما علينا عمله فيما يأتي .  
لتفسير حقوق فائدة مختلفة فان له صفة خاصة . النص المقدس آية فأية  
يُطبق على تاريخ الشيعة في مدة من الزمان لا يمكن ابداً ان يتجاوز السنة ١٧٥٠  
قبل تاريخنا ولا ان يتعدى جلوس هيرودس حتى ولا ان يتصل به في سنة ٣١  
قبل تاريخنا . أيقونون قد اعطونا هذا التاريخ صريحاً : المثلان الكبيران هما  
رب المدالة وهو معلم الشيعة الكبير . ثم خصه الكاهن المناق وهو أو ليس  
بعينه رجل الكذب بينما يدخل الجنا . من بيت انالون ويترتب « الكيم »  
الهائلون . هل نحن ازا . براعة انشائية او حاجة حقيقة للتكلم في التخفي  
بالفاظ غامضة . منها كان الحال النتيجة هي عينها واذا رأى هذا او ذلك من  
الحاليين ان يعالج الترجمة فان انتظار ترجمة واضحة لهذا النوع من الرؤيا قد  
يدوم دوماً لا حد له .

كتاب جميل وهو متلف لسوء الحظ يحتوي اناشيد (هدنورث) يبدأ بـ :  
« اشكرك يا رب لأن ... » مثل صلاة القريبي في الانجيل لكن بروح  
تواضع وعواطف سامية امام الله . هذه الاناشيد ينشدها تباع شيعة قران في  
صلاتهم الصومية او الحصوصية وكتابتها تلتح صريحاً الى حياة تجتازها المحن وقد  
غمرتها المطايا الإلهية يشهد الضير لها بانها قد علت بنفوذ كبر الطريق  
المؤدية الى الله . قد تكون هذه الاناشيد من صنم رب المدالة نفسه يصق  
حياته او من صنع احد المُجيبين به يتكلم باسمه .

اكثر غرابة هو « قانون الحرب » ويسيه سركنيك « عمالك أبناء التور  
وابناء الظلمات » حسب رأي ابقال يادن ابن سركنيك وهو متخرج في امور  
الحرب من سنة ١٩٣٩ الى ١٩٤٤ ثم سنة ١٩٤٨ نجد في هذا الكتاب تماماً فن  
الحرب الحقيقي مأخوذاً عن كتب قتيبة رومانية . لكن ذلك لا يتقل ما فيه  
من الغرابة والخيال . فيه وصف حرب تحت ادارة الكاهن الاعظم نفسه يقود  
فيه الحركات العسكرية كهنة بصوت الايقاق ، ويأتي انكسار العدو واندحاره  
في الوقت المتيقن . حسب قول السيد بروز : « قصة الحوادث ثم وجود عدو لا  
بد من لنهزاه او سقوطه مانثا في الوقت الموافق يذكرنا بالاحرى رقصاً لا

قتالاً» (ص ٢٤) . الحضم هو جيش بليعال وهو مركب من «كتيم» آثور و«كتيم» مصر ورفق آدوم ومواب وعمون واليليطية . الى اي شي تعود هذه التخصيصات الحياثة . ظن البعض بانها تتكلم عن قتال تديجي لكن هذا امر غير القبول . ويصعب ايضاً علينا ان لا نرى فيه الا استعارات حرب ووحية . ما نراه فيه بجلاء هو امتداد الوطنية عند الشعب اليهودي في تمرده ورجاؤه بالمسيح الآتي المقترن بهذه الوطنية . لا بد ان عدداً من رهبان قران كانوا ينتظرون قريباً مجي المسيح او بالاحرى مجي . الميخين مسيح . هارون ومسيح اسرائيل ومعه حرباً ظافرة لابناء التور وهم قران ومشايعه ضد بقية العالم وهم ابناء بليعال والظلمات .

من هذا الشكل عينه في انتظار المسيح يوجد مقتطفات من اقوال وشواهد مأخوذة من كتب العهد القديم ادمجت فيها عبارات من اناشيد يشرح المحرفة وقطع تجانس «العلقة» الربانية تزيد قوانين قران بخصوص من التوراة و«المبشاروت» او تناوب العائلات الكهنوتية في الهيكل هي مفيدة لانها تعطينا تقديم الشيعة النوي . كهنة الشيعة من سبب انشقاقهم ما كانوا يمارسون الحدم الدينية في الهيكل ، اذن هذه الكتب ترجع الى حق حرموه ظلاماً وتنتظر الى مستقبل ولواهماري حيث الحدم الدينية الموسومة سوف تدوم دائماً .

نذكر ايضاً بقايا تفاسير اشيا وميخا وناحوم والمزامير ووصفاً لاورشليم السامرية وتناجيم وكتابات مجرّوف سرية . ويظهر ان القائمة سوف تطول عندما يتقدم فحص قطع المارة ٤ الشاق تقدماً كافياً .

ينهي بكلام وجيز عن الادراج النحاسية التي وجدت في المارة ٣ التي يصعب حياها كثيراً . هي لفائف معدنية طولها متران واربعون سانتياً . لو كان نذها يقابل اشياء صحيحة لكان ثمنه لا يُقدر فانه يدعي بتمين ستين تحتاً لكنيز مختلفة : ذهب حرفة ونجور وعطور ثمينة . هذا كله في امكنة شتى من فلسطين لكن في القدس خصوصاً وفي مقبرة قدرون . من جماعة المستودعات : ستة آلاف ثقل (talents) اي ٢٠٠ طن (tonnes) من الممدن الثمين : نستنج بان هذه القائمة هي مختلفة تماماً بانها عمل سداجة مخيلات صيانية او سقيمة وقد يكون ساعد في عملها سارق ما كرمحتال . عندنا غير امثال من هذا النوع من

الإقاصيص منها ما نشره سنة ١٩٠٧ احمد بك كمال : « كتاب اللآلئ المدفونة والكتوز المخزونة » .

### شعبة قران الاسانين

مؤلفان من اليهود فيلون ويوسف تركا لنا وصف شعبة يهودية : « الاسانين » ويندعيان بان عدد اعضائها بلغ تقريباً اربعمائة آلف . ويوسف يقابلها مع الفريسيين والحدوثيين كدرسة نالكة . ينتج من مقالها ان تباع هذه الشيعة على الاقل عدد كبير منهم كانوا يعيشون عزاباً ويلزمون انفسهم حياة شبيهة بحياة الرهبان المسيحيين : معيشة زاهدة وطاعة موجبة والشركة في الاموال والصلوات المطولة والشغل والاكل مآ . وهذا لكل من الاعضاء بعد تروح من الطلب او الابتداء يدوم سنتين .

والعالم الروماني بلين « القديم » الذي كان قد تجول في الشرق يجتذرو ايضاً بالجاز في كتاب علم الطبيعيات عن وجود الاسانين وينذهل كثيراً من قتلهم : « في غرب بحيرة الاسفليك ( البحر المائت ) يقم الاسانين بميدا ورا . منطقة الشاطى المنخرقة . شعب منزل اغرب ما يكون دون نساء . دون حب دون مال يعيش في صحبة « النخيل » وكان قد زار او على الاقل قد عاين هذا المقام في روايته عن سفره يلاحظ بعد ذلك يانه في الاسفل ( infra ) على الطريقت كانت عنجدا اي عنجدي . ان استعمال بلين هذه الكلمة بمعنى « في مجرى النهر » الاسفل عندما يتحدث عن امكنة واقعة على جانب نهر وان العادة اعتبار البحر المائت كامتداد مجرى الاردن - كما تشهد بذلك مصادر اخرى - اننا ترى امراً صعباً عدم قبول وحدة مقر قران وما رآه بلين ووحدة سكانه واسنيي بلين . اما هؤلاء . فبهم قسم من الشيعة التي عرفها فيلون ويوسف .

قبل سنة ١٩٥١ والحفريات في خربة ، اعجاباً على آثار قليلة جداً كانت قد عرضت تحقيقات اخرى بخصوص مؤلفي « كتاب التهذيب » وتفسير حبقوق . رأى بعضهم بانهم الابيونيون او يهود - مسيحيون او يهود « قرائيون » من العصور المتوسطة . لقد مرّ زمن هذه التخمينات . يريد دل مليكو الى الآن ان يجد في قران غير الاسيتين وهم « الثيورون » ( Zélotes ) وهؤلاء هم حزب

وطني اكثر مما هم حزب ديني . قد لعب دوراً كبيراً مدة التردد الاول فيكون «رب المدالة» القائد ماناهين ابن يهوذا الجليلي ويكون خصمه اليارار الحبر الاعظم الاخير . رغماً عما جاء به دل مديكو من المهارة للدفاع عن هذا الرأي وما قيل عن قبول السيدن دريفر وروث ( وهما فائقان في اختصاصهما ) لهذا الرأي لا يمكننا بالحقيقة ان نأخذ بعين الاعتبار رأياً لا يتفق الا اتفاقاً لا يذكر مع معاماتنا الثابتة بخصوص هذه المسألة . لم يتدر الفيورون ان يفكروا بالعيشة في قران خاضعين لقوانين كتاب التهذيب الصارمة مدة سنين تزيد على المئة ولم يتقدروا خصوصاً قبل سنة ١٨ تأليف « تفسير حبقوق » وهو يتكلم عن موت الحبر الاعظم المنافق اذا كان هذا اليازر فانه سنة السبعين كان حياً ونشطاً .

لكي نعرف كيف كان يعيش سكان قران وهم على رأينا الاسينيون فلنتبع خطوات الحفار لنتفحص مبانيهم .

نحن على رصيف قلبي قليل الارتفاع تحيط به منحدرات وعرة . من جهة الجنوب وادي قران . في اكبر جزء من السنة لا ماء فيه لكن المياه تجتمع فيه في الشتاء ومنه تنحدر الى البحر المائت . هذا الماء ذخ ضروري للدير الذي هو بعيد عن كل ينبوع ماء . قناة طويلة تروى الى اليوم مركبة على مجرى النهر الفوقاني توصل مياه امطار الشتاء الى مجموع صهاريج راو احواض عددها عشرة . على تصميم الحفريات هذه القنوات تذكر بالمجرى الدموي في جسد حي . وفي الواقع يوجد شيء من هذا فان الماء والماء التزير كان ضرورياً بنوع خصوصي للاسيثيين من اجل تمصيحهم في الطهارة الشرعية فانهم كانوا ينظفون في الماء مرارا عديدة . هل يا ترى كان بإمكانهم ان يجددوا مياه الاحواض بتواتر كما تقتضيه المحافظة على الصحة : سؤال في محله .

جزء من ابنة الدير كان مرتكراً على اساسات اقدم منه بكثير . السيد ميليك يظنها مدينة الملح القديمة « عبرها ميلاح » التي يتكلم عنها يشوع . ( يشوع : ١٥ : ٦٢ )

ثم ابنة اخرى صفرى موجودة في النواحي وهذه الاسوار ربما كانت جزءاً من البروج او القلعات التي شيدت في ازمته عززيا . ( سفر الايام : ٣٦ : ١٠ )

مجموع ابنية الدير يختلف تماماً من القرية طوله نحو ثمانين متراً وكذلك عرضه وليس منقسماً الى محال سكنى فلا بد ان اكثر الذين كانوا يجتمعون فيه كانوا ينامون في محال اخرى : في المآور التي تركوا فيها شققاً من الفخار او في خيم او في اكراخ .

يوجد جزءان : البناء الاعظم وهو مربع وكان في احد زواياه نوع من البروج وبجانبها قاعة الاجتماع وأبعد منها من جهة الغرب مجموع مرتبك سماء الحفّارون « الحلي الصناعي » .

الارض التي تأخذها الصهاريج فسيحة جداً . ثم قاعة في اسفل حيطانها ذلك قد تكون محل الاجتماع لدرس الشريعة والمجالس الرؤساء . قريباً من هناك مطبخ فيه مرآقد تُعرف بسهولة وفي الحلي الصناعي وغيره من الامكنة محال لشتى الاشغال : مطحنة ومنفيل ومصبغة وفاخورة وغيرها لا يظهر جلياً المقصود منها لزنا للنسيج ولعمل الثياب . ثم حجرة طولها ثلاثة عشر متراً وعرضها اربعة امتار فيها طاوولات ضيقة بوجه سوي والواح منحورة فيها مخاريب ويتم الكلل بحابر من نجاس ومن خزف وآثار حبر نباتي : هذا محل للكتابة . كما ان الكتبة كانوا اسراييليين وكان عليهم ان يفسلوا حسب النظام الطقسي ايديهم كل مرة عند كتابة اسم يهوي كان لا بد من هذه المخاريب المتلثة ماء . في محل متمد قليلاً كان اسطبل .

في الجنوب كانت القاعة الكبرى طولها اثنان وعشرون متراً وعرضها اربعة امتار ونصف المتر . لا بد انها كانت للاجتماعات الالهم واللاكل . في زاوية الجنوب الغربي يوجد نحو مئة آنية للائدة قد تكون الجماعة استعملتها للاكل عتبة نكية هشة ٦٨ . قريباً منها ذكر آخر من هذه الآنية موضوعة بترتيب يحتوي على اكثر من البنية آنية .

من جهة الدير الشرقية المدفن تفرق بينها ساحة . عدد القبور فيها الف ومئة كلها تمتد من الشمال الى الجنوب ضد المادة الجارية في الشرق التي تمتد قبورها من الشرق الى الغرب . على القبور لا توجد اسماء ولا بلاط بيتاء لكن فقط كؤم من حجارة تُدفن الجثث في عمق متر واحد او اكثر لا يتزل معها الى القبر شي . لا حلي ولا آنية ولا نقود . مدفن اسيني قران كحياته كانت فقيرة وزاهدة .

حسب عبارات كتاب التهذيب كان قد طلب قبوله في الشيعة وكلموا يسونبا «المهد»: «طلب الله لعل ما هو صالح ومستقيم امامه كما امر بذلك بواسطة موسى والانبياء عبيده. لكي احب كل ما اختاره وابغض كل ما رذله ولكي امتد عن الشر واتمسك بكل الاعمال الصالحة ولممارسة الحقيقة والعدالة والحق في البلاد ولكي لا اعرد امشي في عناد قلب مجرم وبميين مملوتين دنساً وانا اعمل كل شر. ثم لكي آتي بالذين يقدمون انفسهم لحفظ شرائع الله الى دخول عهد الحب الذي لا يتزعزع ولكي نكون متحدين بموجب مقاصد الله ونمشي امامه في الكمال ممثلين لكل ما اوحى به فيما يخص بازمة شهادتهم المحددة ولحبة كل ابناء النور كلاً منهم بحسب النصيب المذخر له في نيات الله وابغض كل ابناء الظلمات. كل حسب وزره بموجب انتقام الله.» (بروز ص ٤٢٤ بدء الدوج)

اذن طالب نوع حياة قران كان مبدئياً راعياً في حفظ شريعة موسى حقاً وقاماً وتعاليم الانبياء التي تكتلمها ولم يكن يفكر بان يصح مُشاقاً لكن عضواً لاسرائيل الختبي. كان يعتقد بانه يدخل شرعاً في العهد ويكون ابن النور ويفتقر من جماعة ابناء الظلمات اللينة. هو مدعو الى حب سام للصالح ولارادة الله والى محبة شديدة لرفقائه في هذا القصد الشريف والى بغض شديد ايضاً للشر وفساد الاخلاق ولكل ابناء الظلمات وهذا البغض لا يقط للامم لكن ايضاً لعدد كبير من الاخوة بالنسل الملعونين لمخالفتهم الاثيمة للشريعة. المهد الذي كان يدخله الراغب كان يحفظه بتدقيق. لقد كان هذا الذهاب الى قران بكل معنى الكلمة تجنّداً.

«كل الذين قدموا انفسهم الى حقيقته يأتون بمارفهم وقوتهم واموالهم الى جماعة الله حتى يتشروا مارفهم في حقيقة وصايا الله ويدبروا قوتهم حسب كمال طوره وحتى يتصرفوا باموالهم حسب مقاصده العادلة» (ص ٤٢٤).

يحكم في قبول الراغب «من وضع في رأس «الكثيرين» (وقد يكون: اعضاء الجماعة المهذبين) والناظر (وقد يكون عين هذا الرئيس او غيره) كان يقبله «طلب» يدوم سنة على ما يظهر - اذا حكم بقبوله - وفي مدة هذه السنة كان يفسر له قوانين الجماعة (ص ٤٣٣).

يتبع زمن الطلب الابتداء. ويدوم سنتين . في ختام السنة الاولى « اموال  
المتدنى » واجرته كانت توضع ( كوديعة ) عند وكيل الاموال « دون ان توضع  
بعد في مقتنى الجماعة .

في نهاية السنة الثانية هذه الاموال كانت تُضم الى مقتنى الدير فيمكن  
الراغب الدخول الى المشرب المقدس : وهل يكون ذلك الا الاكل مع الجماعة  
وكان له صفة دينية . وهكذا يضحى من الجماعة عضواً حقيقياً فيها تهذباً ونوعاً  
ما فاذاً النذور الرهبانية فيضحى واحداً في عدد « الربيم » والمترجمون يسمونهم  
ترة « المذيدون » واخرى « الكبار » والتسيتان غير صحيحتين . وبصفته  
هذه - الا اذا تعرض لقصاص - يحق له الاشتراك في اشورى . ويكون له  
صوت في المجمع .

في كل من مراحل طلبه كانت اشورى الجماعة قد بثت في امره فاذا قبل  
نهائياً يُقيد اسمه في سجل ثابت حسب تهذيبه وتصرفه . لكن هذا نظام  
التصديرات كان يمكن النظر فيه كل سنة لتقديم او تأخير الاعضاء حسب  
تصرفهم .

بعقوبات مختلفة كانت تقاصص المخالفات . موقف مخالف للخدمة كان  
يجلب لصاحبه ستة شهور حرمان من الطعام المقدس والحرمان نفسه مدة شهر  
فقط لمن يبصق او ينام او يقهقه في مدة الاجتماع . عقوبات مشابهة كانت  
تفرض على الكاذب والمفتري والمنتقم والتفوه باقوال باطلة . اعلان كاذب  
بالاموال الشخصية كان يُعاقب بسنة حرم وتقيص ربع من الطعام وربما تقديم  
ربع الطعام التهانوي فقط . الحرم النهائي الطرد كان عقاب الجرائم الكبيرة مثلاً  
التلفظ باسم يهوى وبلعنات وبالقدح على الجماعة وبالتذمر ضد تأسيس العهد .

جزء عظيم من الحياة اليومية كان مخصصاً للصلاة ولدرس الكتب المقدسة  
كانوا يصلون عند شروق الشمس وعند غيابها قبل الاكل وبعده ومدة ثلث  
الليل وهذا يبدأ بعد طعام المساء . كانوا ينصّبون على قراءة الكتب المقدسة  
والتفتيش عن الصلاح وتمجيد الله ممأ .

من المحتمل ان بعضهم كانوا يُخصّصون دائماً او احياناً بدرس الشريعة  
وحدها ، بينما كان الرؤسا مهتمين بوظيفتهم والمرضى والعجز مضطرين الى البقاء .

في الدير او في اكوخهم . اما الآخرون الرجال الاقوياء . فكانوا ينطلقون الى  
اشغالهم .

كانوا بعيدين عن المجال الآهله وكانوا مصتمين على تقليل ماطاتهم مع  
كل نوع من المناقنين اكثر ما يمكن . ولهذا الاسباب كان اهالي قران مضطربين  
الى ان يقدموا لهم كل ما هو ضروري لميشتهم بتكبد تعب شديد لمرورهم  
في وادي الاردن . كان في الدير من الاشغال ما يكفي للجميع : مزارع عين  
فشكا وربنا ايضاً غير قطع من الارض . ثم الاهتمام بالحيوانات الداجنة صيانة  
الابنية والقنوت هي اشغال يلزمها رجال كثيرون . كان عندهم اشغال مختلفة  
في شتى المعامل والحُدم : في الخبزة والفاخورة والمنسل والمصيفة هذا ما عدا  
المكتب . يوسف يأتي ايضاً بذكر السخرة : « بعد ( طلوع الشمس والصلاة )  
يرسل الرّساء كلاً منهم ليشغل بالمهنة التي يعرفها فيقون الى الساعة الحامسة  
يشغلون بكل قواهم » . وهكذا ايضاً بعد الظهر .

كان للاطعمة صفة شي . مقدس كما نرى ذلك في اوامر « اثر دمشق »  
فكانوا يبيئون بهاتم خارق العادة فيما يختص بالطهارة الشرعية . تهيئة الاطعمة  
تهيئة بعضها على الاقل كانت تُعدّ امتيازاً لا يُمنح للبتدئين ولا للذين فرض  
عليهم عقاب .

ما كانوا يبدؤون بتهيئة الطعام الا بعد الاغتسال لا غسل اليدين والوجه  
قطط لكن بعد حمام كامل . هذا ما يفترضه جلياً كتاب التهذيب فانه مخصوص  
الراغبين المرفوضين يقول : « لا يدخلوا في الماء لكي يمروا طعام الرجال القديسين » .  
اذا اردنا ان نصفي الى ما يقوله يوسف - ولو كان دائماً متبهاً بطلب تصورات  
إعلانية - فمخبر مشهداً معجياً للغاية : « يجتمعون من جديد في محل واحد وهم  
يجتمعون بنصائب من كتان ويفلون كل جسد بماء البارد وبعد هذا التطهير  
يجتمعون في حجرة خصوية حيث لا يحق الدخول لمن ليس من الجماعة وهم لا  
يدخلون الى هذه المائدة الا اطهاراً مثلما في دار مقدسة ثم يجلس كل واحد  
منهم في محله فيقدم له الحياز خبزة ويضع الطباخ امامه صحناً فيه ما كؤل واحد  
فيتلر الكاهن جلالة قبل الاكل ولا يجوز لاحد ان يذوقه قبل نهايتها وبعد  
الاكل يصلي من جديد .

كتاب التهذيب لا يدلنا ابداً على ما كان يجري في قاعة قران الكبرى لكن في نص منه يكلنا عن وجود غيرهم من جماعات الهدد يقول ان جماعات من هذا النوع يجب ان تضم على الاقل عشرة اعضاء احدهم كاهن ويجب ان ينصب كل واحد منهم بدوره على درس الشريعة ويلاحظ بان الطامم يلزم ان تسيقه بركة الكاهن: «عندما يهتفون المائدة للاكل او الخمر للشرب يد الكاهن يده ليبارك بأكورة الخبز والخمر» اللفظة المترجمة هنا بخمر ليست لفظه «ياين» العبرانية وهي ادق لكن لفظه «تيروش» وهي السلاف او الخمر الخلو او غير مشروب حلو. من الممكن ان الاسيين كانوا يتعمون تقشفاً عن شرب الخمر الحقيقي ويعرضون عنه بشروب آخر غير مُسكر.

فيلون وبلين يثبتان تبثل الاسيين ويطنبان فيها وبالاخص بلين القديم وقد فتته هذا النوع من الحياة وكما رأينا انه يفتي شهادة عن اناس لا تقدر بالحقيقة ان نعتين لهم مقراً الا قران.

لكن ليس في كتاب التهذيب ولا في غيره سطر واحد يجمل التبثل واجباً وقد يكون تقليداً غير مدون يحرض على حفظه التمسك الذي عند دخوله الى الدبر يختار الطريق الضيقة.

على الاقل في هذا القانون لا يذكر قط نساء او اولاد فهذا بنوع مباشر تحريم تأسيس عائلة او ابقائها وهو بالحياة التي كان يوجبها والخضوع الذي كان يفرضه ما كان يفتي بالحقيقة لا الحرية الكافية ولا اسباب الميثة الضرورية لحياة زوجية والاهتمام باولاد.

لذلك رغماً عن وجودها كل عظام نساء في مدافن المقبرة تقدر ان نتأكد بان سكان قران كلهم او عدداً كبيراً منهم كانوا محافظين على التبثل. كتب يوسف ما كتبه لقراء وثنتين واهتم بعرض افكار اخوته اليهود بنوع يناسب قراءه لذلك نراه يفتر لهم هذا التبثل مبرراً اياه ببواعث نفور من الزواج وهي بواعث مبتذلة ومكروهة اذ يقول عنهم: «يخافون من فجرور النساء وهم متأكدون بانه ليس فيهن واحدة تحفظ الوفاء لزوج واحد» وهذا اختراع مضحك لا يصدق. اذا لم يكن امرأة للاسيين في قران كذلك لانه لم يكن له وقت فيه يقدر ان يعيش معها ولا فلس لتدبير نفقات البيت. يمكن

ان يكون هناك غير اسباب. بعض رسوم القانون تدلّ على شعور حشمة وحياء حي . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بتقدم فضيلة التوبة عندهم . هؤلاء الزهاد المتبتلون ليتبنوا بكال شريعة موسى ولكي يتتوا بنوع اكل واكثر نباتاً في حالة الطهارة الشرعية يكونون قد شعروا ايضاً بان ترهداً كذا هو غاية طهارة داخلية اعنى .

لم تكن الحياة الاسينية في قران وحدها ولو انها تظهر في قران متميزة بنجاحها لكن تباعها كانوا موجودين ايضاً في غيرها وليست قران نقطة انطلاقتها . فان مساحة جزائرها واسباب المعيشة فيها لا يمكننا من فرض وجود اكثر من اربعمئة راهب فيها والحال ان يوسف وفيلون يتوافقان بالقول بان عدد الاسينيين هو اربعمئة آلاف . ويوسف الذي كان مطلقاً على امرهم اكثر من بلين لم يكن يحصر انتشارهم الجيوغرافي في نواحي البحر المانت فقط فانه يقول : « انهم ليسوا مجتمعين في مدينة واحدة لكنهم يعيشون متفرقين في مدن عديدة » لكن فيلون يقول بانهم كانوا يفضلون الحال القليلة السكان لكونها اجدر بالاختلا .

من جهة اخرى يوسف الذي وصف باعجاب حياة الاسينيين المتبتلين يعرفنا بانهم لم يكونوا كلهم كذلك وان جزءاً منهم كان يعيش في حالة الزواج . ان ما عندنا من الآثار يثبت هذه المعلومات . رأينا بان كتاب التهذيب عينه وهو خاص برهبان قران حافظي القانون بتدقيق يذكر وجود جماعات عديدة يقرأها كهنة وعدد اعضائها عشرة على الاقل .

كتاب قوانين آخر كانوا يقرأونه في قران ولو انه كان يختص بغير امكنة هو « اثر دمشق » هذا الكتاب - وقد يكون اقدم من « كتاب التهذيب » - يظلمنا على شي قليل بخصوص اصول هذه المنظمة . لا يمكن انكار وحدة العقيدة ووحدة الالهام بين قوانين كتاب دمشق وقوانين قران لكن حياة الهد في كلب دمشق لا تقوم بحفظ قوانين رهبانية حقيقية .

في الصفحات الاولى نشهد رواية حزب كهنة يدعون الانتماء الى رئيس الكهنة صادق ماصر سليمان ومعهم لاوتيون يتبعهم عدد من الملائيين وكترو باختلاف شديد مع رئاسات اسرائيل الروحية، لذلك تركوا ارض يهوذا ليذهبوا

ويستكنوا في ارض وثنية في بلاد الشام . لا نعرف محل سكنهم افي حوران او في شمال ما وراء الاردن وكانوا يعيشون في محال يسوتها مراكر . في هذه الظروف كانوا يتخذون لنفسهم نعتاً من عاموس وهو لئنة مرجة جلياً الى وقتين غير عابنين بتطيق : « بل حملتم خيمة مولدكمم وكيوان غائيلكمم كوكب آلهمم الذي صنصوه انكم فاسجليلكمم الى ما وراء دمشق » . ( عاموس ٥ :

( ٢٦ - ٢٧ )

هذه المراكر كانت تذكر محلات العبرانيين في برية سينا فان الشعب الذي يسكن فيها هو كأجداده في ايام موسى المستامن الوحيد للعهد، العهد الجديد، لان الرؤساء الروحانيين الرسميين قد اصبحوا « امة بليعال » ( برنوز ص ٤٠٥ ) .

كما في قران اجتمع هؤلاء ايضاً لمعرفة الفذل ولفهم اعمال الله وطلبه بقلب صادق في هذه المحلات اعضاء العهد يعيشون جماعات في كل منها عشرة على الاقل وفيها على الاقل كاهن واحد . يرئس هذه الجماعات رئيسان كبيران احدهما كاهن « مئش » ( مبقد ) والثاني قيم المحلات « ( مبقر ) .

قوانين الطهارة الشرعية وحفظ السبت كانت - ربما مزائفة نحو الآخرين - مشددة حتى الجنون . فهي تأمر بفضد الاسماك وهي حية كالحيوانات الحارة الدم وان لا يؤخذ الجراد للشواء ولا يوضع في الماء للطبخ الا حياً . وكانت تحرم نقل شي . مها صغر يوم سبت ولو كان كيس طيب معلق بالثياب وكان محرماً حمل الرضيع بالذراعين . كان محرماً ايضاً اخراج حيوان سقط في بئر او صهريج ومحرماً كذلك اخراج انسان لتعليصه اذا لم يكن انقاذه ممكناً دون استعمال جبل او سلم .

اعضاء العهد العائشون في هذه المحلات لم يكونوا مجبرين على التخلي عن امراهم لكن فقط كانوا ملزمين بدفع ضريبة توازي اجرة يومي شغل كل شهر للصندوق العمومي .

كان الزواج مباحاً بشرط الخضوع في حالته لقوانين اولاً لشرعية موسى وثانياً للتي تنتج من تأويل الشيعة التي هو منها فانها كانت تمنع المضادة وربما الطلاق ايضاً وتحرم زواج العم بابنة اخيه او اخته مع ان سفر الاحبار لا يحتوي هذا التحريم .

لكن الظروف التي كانت قد أوجبت هذا الجلاء الى بلاد دمشق لم تلبث ان تغيرت، حيث تمكنت المعاملات ان تقيم في يهودا او في الجليل بينما مركز قران الرهباني كان يتشعب في نواحي البحر المائت وهكذا في بدء ترحيلنا في زمن محدد كان قد توصل عدد الاعضاء الى اربعة آلاف وهو عدد ذو قدر ولو لم يكن كبيراً . وكان لا بد من وجود محيط حول هذه الاخويات الاسيية مختلف الآراء . من نافر او محيد .

يظهر ان هذه الروح الاسيية قد بلغت الى المهاجرين انفسهم على الاقل الى مدينة الاسكندرية حيث تعارف فيلون مع « التيراوت » وجسب وصفه لهم ترى انهم كانوا يعيشون عيشة قريية جداً من قوانين قران وفي حالة التبثل . وكان هناك ايضاً جمية نسائية . ثم ان وجود قطع من الترجمة السبعينية في مناوير برية يهودا قد يكون دليلاً على علاقة بين الاسيين و« التيراوت » .

في كلامنا عن « اثر دمشق » ذكرنا باننا فيه نجد معلومات عن اصل الاسيين . نعود الآن الى المسألة لنفتش على ما نقدر ان نقيده من ترحيلهم . عندنا ايضاً كتاب آخر يعطينا شيئاً من هذا التاريخ بنوع اجلى وبجته . عن هذا الكتاب كتب كشيرون وهو « تأويل حقيقة » . كما حدث لتيرين كثيرين خياليين لسفر الرؤيا حدث لهم فانهم بسهولة تصوروا وجود سلمان ومحمد وهتلر والقنبلة الذرية فيه . كذا الاسيون كانوا قد فرروا الانبياء . بموجب ماضي شعيتهم ورجياتها لكنهم لسوا الحظ تجنّبوا قصداً ذكر اسم اي شخص كان . وعلاوة على ذلك فان عباراتهم ليست دائماً دون اشباه واحلال تريد في الارتباك .

يطول بنا المقال اذا اردنا ان نعدد كل التحينات التي بُنيت على هذا الأساس وخصوصاً اذلباشرتنا مباحثة مستعجبة في هذا الموضوع . نستغني بتعيين مربع للنقاط الثابتة والحلول المحتملة .

يجزنا يوسف (القدميات اليهودية ١١٣ : فصل ٥ و ١٧١) «انه في ايام يريثان وهو ثاني المكابيين كان يوجد بين اليهود ثلاث شيع كلن لكل منها اعتقاد مختلف بخصوص الامور البشرية وهي شيعة الفرسيين وشيعة الصدوقيين والثالثة شيعة الاسيين » . يمكننا قبول هذه المعلومات وعندنا اسباب صوابية لاظن بان

في الازمنة التي سبقت كانت هذه الشيع موجودة فقط كحالة اتجاهية او كتجمعات غير منظمة .

ان اضهاد انطيوخس الرابع ايفانيوس سنة ١٦٧ هـج مقاومة الشعب اليهودي وماتياس الكاهن - لم يكن من ذرية صادوق - وطد هذه المقاومة وترك لابنائه مهمة ادارتها . في اول هذه المقاومة وهو زمن البأس والشجاعة عاضدته كثيراً او قليلاً جماعة من رجال متعلقين بنوع خصوصي بالشرية وهم « الحيديون » (١ مكايون ٢:٣) لكن هذه الجماعة لم تشمل بعد ذلك معه كحليفة فانها اسرعت الى قبول السلم دونه مع الملك ذيمتريوس مغرورين لوجود كاهن من نسل هارون منه «الكيم» (١ مك ٧:١٣-١٤) ولا يظهر انهم رغمًا عن انخداعهم وبعد هذا المل القليل الفطنة عادوا الى المكايين واتحدوا معهم بصراحة للمقاومة .

هؤلاء الحيديون بغيرتهم على الشرية يسبقون نوعاً ما القرينين ولا يستحيل ان يكون بعضهم قد لب دوراً في بروز شيعه القرينين . لكن لم يكن الاسينيون اقل غيرة على المراسيم الموسوية ويمكن ان يكونوا هم ورثة الحركة الحيدية خصوصاً بقلة اتفاقهم مع المكايين .

كما يحف لنا معيشتهم كتاب دمشق نزي فيهم اولاً حزياً كهنوتياً يتركب من عدد وافر من الكهنة واللاويين وهو خاضع لرؤساء من نسل هارون واحترامهم لموسى عميق لكنهم بعده يضمون في ذرجه بمثابة رئيس الكهنة صادوق فبرأيهم انه حتى مجيئه كانت الشرية مهلة جداً حتى من جهة دارد لكن جهل هذا يذره لمخالفتها بتمدد زوجاته .

في الازمنة التابعة دخل الشر من جديد وشاع « لكن الله اخرج من هارون رجالاً ذوي فهم ومن اسرائيل رجالاً حكماً » وهم رجال «الهد الجديد» في بزية دمشق وهم وخدم الصالحون الحقيقيون .

ضد اخصابهم ولا بد ان هؤلاء - حسب روح كتاب دمشق - هم المكاييون او خلفائهم السلالة الاثيونية عندهم شكوات شديدة عديدة منها : انهم يميزون تمدد الزوجات ضد كلام التكوين: «خلقها ذكراً وانثى» ثم: « سيدخلون السفينة اثنين اثنين » .

. وانهم يأذنون بما لا يجوز مثلاً: بزواج ابنة الاخ او الاخت مع اخي الاب ثم انهم غيروا حساب ايام السنة الجدي .  
لهذه الملاحظات النظرية نظن انه يوجد اسباب عدم رضى احق وأهم عند كهنة قد يكونون من ذرية صادوق وهم الزعماء. فان السلالة الاثمنية الكهنوتية والملوكية معاً كانت حائزة على منصب رئيس الكهنة الذي كان خاصاً بذرية صادوق منذ اجيال .

في اول الامر كانت تدفع الاسيين اسباب متباينة وغيره جقيقة على الشريعة وغيظ كامن كانوا يشعرون او لا يشعرون به . وجاء يوم - ربما بعد خصام مع الكهنة الرسميين - فيه اختاروا المنفى ووظفوه باتخاذ نوع من الميثة تخافهم ان لم يكن عن كل نفوذ فعلي الاقل. عن مقدم ملب الحياة . لكن الحزب كان يعتقد اعتقاداً ثابتاً بانه متآمن عهد جديد مدعو الى جمع شتات اسرائيل الحقيقي لقتال جازم وانتصار المسيح المتبدل. هذا المسيح هو الذي يعتقد به الاسيون وهو مسيح كهنوتي مسيح هارون واسرائيل ويفترق احياناً الى شخصين مسيح هارون وهو زعيم ديني ومسيح اسرائيل وهو علاني وفي الدرجة الثانية وهم في اثناء ذلك يُعدون عبثاً ضد بقية الناس .

شخصان يعطي اسمها كتاب دمشق وتأويل حبقوق هما زعيماً هذا الأنتشاق المكدر : « رب العدالة » و « الكاهن المناق » .

لا بد ان « رب العدالة » كان شخصاً قوياً وقد حوّل - لخدمة مآربه حركة مرتبكة وقليلة الانتظام ناشئة الى منظمة عاملة وثابتة . كتاب دمشق يعلن بان الله ارسله « ليقود (ذويه) في طريق تكون حسب قلبه » (D D. I. Burrows, p. 339) لكنه يتكلم عن مدة العشرين سنة التي سبقت دخوله الى العمل . اذن لا يظهر بأنه هو المؤسس لكن المنظم والزعيم . كتاب تأويل حبقوق ينسب اليه اسمى مواهب المعرفة ويقول « بانه كان كاهناً وضع الله في قلبه الحكمة لفسر اقوال خدامه الانبياء . » (حبقوق ١: ٤) وان الله كان قد « اوحى اليه بكل اسرار اقوال الانبياء . خدامه » (حبقوق ٢: ٢) فكان اذن واجباً قبول رسالته وكبيرة كانت خطيئة اخصامه برفضها: « هم الذين تصرّفوا تصرّف خونة بالاتفاق مع رجل الكذب لانهم لم يُسالوا بكلام رب العدالة

الخارجية من فم الله « (حبقوق ١: ٥) ثم ينتقل الموزل الى آية شهيرة منها بعد ذلك اتج القديس بولس نتيجة مختلفة جداً فيكتب : « لكن البار سوف يحيا من ايمانه وهذا يعني كل الذين يارسون الشريعة في آل يهوذا وسوف يتقدم الله من الحكم عليهم من اجل محنتهم وايمانهم برب العدالة » (حبقوق ٢: ٤) لا يمكن الشك بان تأييد هذا الشخص كان عظيماً في المذهب الاسيني كله وان اليه تعود بالاخص رسوم المحلات وعظم الوثبة الادبية التي تتمش في عدة صفحات من الكتب التي وصلت الينا وقد جعلت ممكناً نفاج الحياة الزهدية في قرآن .

ازاءه يقف « الكاهن المنافق » ولا يد انه هو « رجل الكذب ». السيد ملار برورز يقدمه الى قرائه قائلاً : « وها الآن دخول الحاشق » هوذا هذا الدخول الى المسرح بمناسبة آية « النبي » ٦: ٢ : « الرب لمن يكذب ما ليس له » وهذا يعني « الكاهن المنافق وقد دُعي اولاً حسب الحقيقة لكن عندما بدأ يملك في اسرائيل انتفخ قلبه كجرباء فتك الله وخان وصاياه من سبب التنى . نهب ركذس غنى رجال الصولة الذين كانوا يتمردون على الله واخذ غنى الشرب جامماً في نفسه الخطأ والجور » (بروز ص ١٧٩) ونص آخر يظهره لنا مضطهداً لرب العدالة ثم زاه هو ايضاً وقد سلّم انى اعدائه وعوقب : « هذا يعني الكاهن المنافق الذي من جراً. الشر الذي سيئه لرب العدالة ولرجال حزبه سلّم الله الى أيدي اعدائه ضارباً اياه بمقاب مهلك في سمرارة نفسه لانه تصرف بنفاق ضد محتاره » ( ٢ : ٨ ) .

و« واعظ الكذب » وقد يكون الكاهن المنافق بعينه يُعاب لانه دفع اناساً عديدين الى بناء مدينة « خداعة » . هذا صدى ملام عتيف يوجهه عدة مرار كتاب دمشق ضد « بنائي اسوار الذين بنوا البور وطلوه بالملاط » (كتاب دمشق ٧ و٩) .

كاهن مالك على اسرائيل قد اغتنى من اموال الشعوب واموال اشخاص تمردوا هم ايضاً على الله ويظهر انه كان مولماً بالبناء : هذه خطوط حورة خصم رب العدالة الكاهن المنافق مرسومة جيداً . يبدو جلياً بانه كان قد

توصل الى الإتيكيا. عليه وعلى ذويه لكن هو ايضاً كان قد سُلم الى اعدائه  
و س بمقاب مهلك .

« بيت ابشالوم » - اسم لُنزري - بقي مدة على حياد مجرم : « يعني هذا  
بيت ابشالوم ورجال حزبه الذين حفظوا السكوت ازاء عقاب رب العدالة وذويه  
ولم يعضدوه ضد رجل الكذب الذي نبذ الشريعة ضمن جمعيتهم ».

هوذا اخيراً نصّ كان موضوع تأويلين مختلفين : « هذا يعني الكاهن  
المنافق الذي يضطهد رب العدالة لكي يمزّيه في حدة غضبه راغباً في نفيه ( في  
غير موضع : في ابتلاعه ) . وفي وقت عيد بطالتهم يوم التكفير ظهر لهم  
ليخزيهم ويوجعهم يوم الصوم سبت بطالتهم » .

دويون سومر في محاولته لوجود مشابه بين رب العدالة ويسوع المسيح كان  
يرى في هذه العبارات ذكر مكيدة كادها ضد رب العدالة الكاهن المنافق  
توصلت الى قصد قتله والى تنفيذه . لكن رب العدالة أخذ ثأره اذ قام من  
الموت وظهر لاعدائه بنوع ناقم في يوم التكفير عينه وهذا الظهور ليس الانكبة  
دخول يوهباي الى الهيكل .

هذا التأويل يقتضي رجوع رب العدالة الى الحياة وليس في النص ما يدل  
على ذلك ويقتضي ايضاً قبول وقوع ما يحدث احياناً في الانشاء عند الساميين  
بان الكاتب يرويه من جملة الى التابعة ودون ان يتنبه الى ذلك بنوع جلي  
غير الفاعل : « ... الكاهن المنافق الذي يضطهد ... ظهر لهم ليخزيهم ... »  
( فانه يعطي افاعل « ذاهر » غير فاعل « اضطهد » ).

انه لصوابي اكثر عدم تطلب تمييز الفاعل هذا وهذا النوع عندنا تأويل  
عرضه م. س. تلمون ونشره في « بيلكا » (Biblica) سنة ١٩٥١ وهو مقبول  
اليوم عمراً : الذي ظهر هو الكاهن المنافق وذلك حيث كان حينئذ مركز  
الاسيينين الاثم وفي يوم اجتماعهم لعيد التكفير يجب حماهم وظهر لهم  
« يوجعهم » بدعوته اياهم الى ترك ممارساتهم الحصرية . بموجب هذا التأويل  
تكون هذه مسألة تفتيش قام به رئيس الكهنة بذاته او باسمه عند اناس رآه  
مناسباً . هذا ما فعله فيما بعد سلطات اورشليم اذ ارسلوا الى شواطئ الاردن  
من فوضوا اليهم ان يستفسروا عن اعمال المهدان .

من هذه المعلومات ماذا نقدر ان نستنج من امر جليّ او محتمل ؟  
احتل رب العدالة وذووه ما احتملوه من قبل الكاهن المنافق وهو اذ  
ذاك رئيس الكهنة رئيس ديانة اورشليم الرسمية وقد يكون سبب ذلك ما  
أبدوه من التعصب ولربما كان اضطرارهم للاجلاء الى دمشق الشيء الاهم في  
اضطهادهم .

عندما كُتب « اثر دمشق » كان رب العدالة قد مات « كان قد جمع »  
( بروز ص ٤٠٨ ) ويظهر ان موته كان طبيعياً ، نحو اربعين سنة فيما بعد على  
الاكثر كان مقترضاً ان يحدث « ابادة رجال الحرب الذين اتبعوا رجل  
الكذب » : انتصار بالمسيح .

من يكون رب العدالة هذا . الى اليوم لم يعرض احد في ذلك رأياً  
يستحق القبول . من المحتمل جداً ان اسمه - وقد اعمل مشاييره ذكره - ليس  
اسم شخص مذكور في الكتاب المقدس ولا في الكتب المحرّفة ولا في كتب  
يوسف أو في غيره مما وصل الينا . لقد بالغ التخريجون له في تعظيمه ولربما لم  
يكن له عند بقية اسرائيل الا مقام قليل الالهية .

اما خصم الكاهن المنافق فتحديد شخصيته اقل صعوبة كما يظهر ذلك  
من النصوص التي آتينا بها اعلاه . ليس لنا ان نقش الابن رؤساء كهنة  
اسرائيل الذين مارسوا ايضاً السلطة الملكية وهم السلالة الاشورية التي بدأت  
بتتابع المكابيين الشهيد . عندنا اسمان بارزان : الاسكندر جانه وهو مشهور  
بقساوته ( ٧٦ - ١٠٣ ) وقبله بكثير المكابي الثاني يوثانان ( ١١٢ - ١٦٠ )  
ان سفر المكابيين يعرض لاعجابنا شخص يوثانان . اما الاسينيون فكانوا  
متسكين بيادهم متعلقين بنسل صادوق الكهنوتي لذلك يمكن ان حكمهم فيه  
كان مخالفاً لحكم سفر المكابيين . هذا رأي الاب ج : فرماس من آباء  
صيون وقد دافع عنه م . ميليك . وما يحمل الاكثر على قبوله انه الوحيد  
الذي يطابق ما نعرفه من صفات الكاهن المنافق حسبما يكلنا عنها « تأويل  
حقوق » اي : ابتداء . لا يزاخذ عليه ثم اغتناء لامره عليه لوماً شديداً لكنه  
فقط من اموال الامم والذين تمردوا بشدة على الله ثم اخيراً بنا . اسوار ثم  
أسر وموت فاجع .

لن نعرف ابداً من يُبنى «بيت ابشالوم». وهو لا يُذكر الا بكلام وجيز.  
من وراء هذا المشهد وبدون علاقات متينة مع حوادث الشيعة يظهر عدو  
خارجي عابد أعلامه الحريئة ذو بأس عظيم وطاغية «الكهيم» وهم بالاحرى  
الرومانيون لا السلوقيون .

الحية التي جلت بمكنة حياة المحلات الصعبة والجذاب المشايخ الى دير  
قران تستند ولا بد على اعتقادهم الوطيد بانهم هم وحدهم «بالمهد الجديد» في  
«برية دمشق» الصادقون الاصفاء. ورجاؤهم العظيم المنتظر تسميه قريباً وهو  
انتصار المدل عند مجيء المسيحين ولا بد ان بعضهم للفتاح الروماني - ولم يكن  
اقل شدة من بغض بقية اليهود - كان يلمح غيرتهم .

لا تقدر ان تعرف بصراحة ماذا كان مقامهم في اسرائيل . نعرف انه  
كان لهم حظوة عند هيرودس العظيم وانهم اذ ذاك هجروا قران مندة من  
الزمان . يمكن ان سائس الكاهن المنافق ضد رب العدالة كانت بالخصوص  
رفض يوناتان او احد خلفائه تبذل رسالة ملهم الشيعة الكير - وهذا الرفض  
يظهر صواباً - واعادة رتبة رئيس الكهنة لواحد من نسل صادوق. فالكهنة  
واللاويون الاسينيون كانوا مبغدين من خدمة الهيكل لرفضهم الاختلاط باثر  
الكهنة لهذا السبب ما كانت جماعتهم تشترك الا نادراً في الشائر الدينية  
الرسمية . لكن ليس ما يُثبت انهم كانوا عادةً وفلاً مضطهدين من قبل  
سلطات اورشليم الدينية ولا مُحتملين كمشائخين مردولين مثل السامريين ثم ان  
حياتهم المعتلة ما كانت لتجذب جزءاً مهماً من الشعب فكانوا غير مؤذين  
وكان تأثيرهم ضعيفاً . ثم ألم يكن الناس امام الرباء فخورين لاسرائيل كله  
من فضائل حياتهم ومن تبثلم الارادي المجيب .

يمن لي ان اقابلهم - عن بُعد وفي بعض الاوجه فقط - بشيخ كانت  
موجودة في الكنائس الصقلية من «المؤمنين - القداماء» (الراسكوليك) .  
هنا كما هناك نرى اختلاط عناصر ممكن تفسير تركيبها نفسياً : قلة ذكاء  
و «misoncisme» منتصبان ضد تعبيرات جاءت بوقتها او على الاقل مقبولة  
ثم ادعاء بالوحي متباين يزول الى ممارسات غريبة حتى الى عقائد ضالة مع  
همة في العبادة احياناً جدوة بالاعجاب .

اما الشكوى الموجهة الى زعماء الدين في اورشليم بانهم مذنبون بانتحاذهم حساباً جديداً لا يام السنة وبانهم لم يحرموا تكاثر الزوجات ولا بعض الاقترانات الزوجية ولو انها ليست محرمة في نصوص الشريعة فكل هذا يظهر لنا الالبيين كأناس متعصبين على شبه الراكولنك بخصوص حركات في اخدم الدينية او لفظ اسم يسوع . مثل هؤلاء الراكولنك او بعضهم على الاقل كانوا يشددون في المشاكل الضميرة بخصوص المآكل والتطهير وحفظ يوم السبت وهذا يدل على نفسية ناقصة الذكاء .

لكن عند هؤلاء المتحتمين مواقف فاخترة بها يظهرن متفوقين على منافسهم الصدوقين والفريسين الاكثر نشاطاً وحظاً .

ليس عندنا عن الصدوقين معلومات تامة وما نعرفه عنهم ليس بما يرفع شأنهم . من الكتاب المقدس لا يعترفون الا بالتوراة وبما انهم يتسمون ماضياً ليس عنهم بعيداً يرفضون قبول كل ما جعلته التقاليد القديمة وبالاخص قيامة الموتي والمجازاة في الحياة الاخرى . هذا الاتكار الصريح كان يصلب ما لم يكن في ايام داود الا جهلاً جتياً بخصوص ما بعد الحياة لا يرفض امكان امر ما لم ير بعد النظام الإلهي ان يوحى به . هذا الضلال الجوهرى نيا يخص مصير الانسان بعد الموت هو الذي يمكننا على اعتبار عقيدة الصدوقين ومبادئهم العملية ناقصة مادّية . سفر يشوع بن سيراخ الذي كان يميل الى هذا الاتجاه يظهر لنا بانه لم يكن مخالفاً لإحساس ديني عميق وبالحقية دون عظيم همة . لكننا نعرف بان الصدوقين كانوا متشددن في حفظ الشريعة وتأويلها . كانت قوتهم بالعائلات الكهنوتية الكبيرة التي منها كان عظيم الكهنة في عهد المسيح . يكلنا الانجيل بأسطر قليلة عن الصدوقين لا لدحهم . لكن تأليف اليهود التابعة تبالغ في ذمهم تعصباً .

نعرف الفريسين معرفة أوفى . هم اولا علمانيون وهم غيردون على معرفة الشريعة وحفظها ورغمما عن احتقارهم لهم من الاسرائيليين كان لهم هبة ونفوذ اعظم . ان حزبيهم وحده بقي حياً بعد نكبة سنة السبعين وسنة ١٣٥ بينا اضحل حزب الصدوقين بعد انقطاع اخدم الدينية في الهيكل وحزب

الاسيئين لم يبقَ له اثر. ثم خلف الرباني الكاهن الحزبُ الفريسي صار واحداً مع الشعب الاسرائيلي عينه .

كان موقف البدعة الفريسيّة شديداً ضد الصدوقين وكانت متمسكة بمقيدة المجازاة في اخطايا التبيدة ومن ثم بقيامه الاجساد . ومجموعتها للكعب المقدسة هي التي تثبتت في الكتاب المقدس «المأثور» . لكن على مثال غزرا الذي تثلثت له كان اهتمامها محصوراً في الشريعة في موسى وقد عُتبت بنوع خصوصي بجمل المشاكل البلية الذميمة . غاية الفريسيين في قراءتهم الانبياء . والاسفار الحكيمية هي خصوصاً ان يجدوا فيها ما يتاعدهم على تأويل موسى . هذا ما انتج فيها هزراً دينياً مؤسفاً اذ جطت اليهودي يلاجياً قبل ان يكون البيلاجيون عندنا مثلاً من الفريسيين في الانجيل : انه يقف مقتخراً بصلاحه ناسياً ما هي بالحقيقة مرتبته ازامه خالقه .

اما الاسيئون الذين تعرفنا اليهم - وهم خصوصاً حزب كهنوتي - مع انهم كانوا - ربما لمرايدتهم للفريسيين - اكثر تعصباً منهم للتدقيق في حفظ الشريعة . تراهم يقرأون باهتمام اعظم كتب الانبياء . يشهد بذلك الدرج الاول مما ورتناه منهم . انه كان سفر اشيا . وفي للبرية تبعوا موسى لكنهم معه وجدوا ايضاً من جديد ايليا واليشاع وابناء الانبياء المحيطين بهم . بهذا الفكر اتخذوا لهم شاراً وضعوه في الصفحة الاولى من كتابي قوائيمهم بهذه العبارة : «طلبُ الله» . لكن في هذا الطلب كان نصيب مشيهم عوائق عديدة لم يكن ليتغلب عليها الا الانجيل . كانت الشريعة لهم استاذاً قاسياً مخيفاً لا يعرفون كيف التخلص منه . وما هو أتعس انهم مع عجة الله ومحبة القريب (والقريب ليس الا الاخوة بالهدى) كانوا يتعلمون بنصاً شديداً لابناء الظلام لا فقط لاخطائهم وأضاليلهم لكن ايضاً لهم شخصياً .

زهد قران لا يخلو من النقص لكنه مع ذلك امر عظيم لما كان يتطلبه من الخضوع للروساء والمحبة الاخوية والثبات في الصلاة والشغل دون غرض شخصي .

الارشادات الطنيدة والانايد تشهد لهم بسلوك ساهر جداً وبجياة داخلية حقيقية . هوذا مثلاً جزءاً من نشيد ينتهي به كتاب التهنيب :

يجب ان لا يُعجَب الانسان الا بارادة الله .  
 وان يفرح لكل كلام يخرج من فمه .  
 وان لا يشتهي الا ما امر به الله .  
 لكن ان يتأمل دائماً بشرائعه .  
 في كل ساعة يُقبل فليبارك خالقه .  
 في اي حال وُجد فليبارك عدائه .  
 عندما ابداً بتقديم رجلي ويدي  
 ابارك اسمه .  
 عندما ابداً بالخروج او الدخول .  
 عندما اجلس او اقوم .  
 وعندما اكون مُستلقياً على مضجعي اعظمه .  
 اباركه بتقدمة شفتي .  
 اكثر مما بالذبايح التي يقدمها البشر .  
 لن اردّ لاحد جزاء البشر .  
 سألحق بكل انسان بالخير .  
 فله الحق بمحاكمة كل انسان حي .  
 لا يتحصه الاعتراف الوضع بدمف الانسان وبالخطيئة وبالرجاء في عدل الله  
 يُبيل الشفاء منها :  
 لكنني من عدد البشرية الخاطئة .  
 من جماعة الضلال الجسدي .  
 مآثم وهفواتي وخطيئتي .  
 كذلك اثم قلبي المجرم .  
 تختص بالذود وبالذين يمشون في الظلمات .  
 اما انا فاذا ارتجبت  
 فحب الله الذي لا يتزعزع يكون خلاصي الى الابد .  
 واذا تهربت في خطيئة الجسد .  
 فما كنتي تكون الى الابد في عدل الله .

- اذا ترك التراجع يذوب في .
- سوف يُنقذ نفسي من الهوة .
- وسوف يقود خطاي في الطريق المقدسة .
- برحمته قُرْبني اليه .
- وبعدائه سوف يطهّرني من الدنس البشري .
- من خطايا ابناء الانسان .
- كن مباركاً يا الهى .
- انت الذي فتحت للمعرفة قلب عبدك .
- الا تُقد اعماله كلها الى الصلاح .

الاسينيون كالفريسيين ينتظرون جزاء في الحياة الاخرى لكنهم لا يلحون في الكلام عن عقيدة قيامة الاجساد الفريسيين . تعريفهم للانسان يقيم بين النفس والجسد ثنوية صريحة لذلك يمكن انهم فكروا بان السعادة هي للنفس وحدها بصحبة الملائكة . من جهة اخرى يظهر ان رجاءهم بازمئة المسيح جعلهم ينتظرون الى سعادة يصلون اليها دون المرور بالموت .

• انه اتمدّ من قبل يوسف اذعاظه بانهم يوجهون صلاتهم الصباح الى الشمس فمن الاكيد انهم يوجهونها الى الآله الحقيقي . ثم ان استفادة كتاب التهذيب من موضوع الطريقتين لا تحتوي الا بما كان مطابقاً بالتام لعقيدة التوحيد حتى اذا فرضنا فيه ( وهذا ليس مُثبتاً ) وجود تذكّار للثنوية الايرانية .

عقيدتهم بخصرص العناية الإلهية تفرّز بالاختيار من الازل وبتحديد مستقبل الانسان لكننا لا نرى فيها انكاراً للحرية البشرية . علاوة على ذلك كانوا يتقدون بالتنجيم فينسبون الى النجوم تأثيراً ياتاً في حظوظ البشر .

حاييم لا يام السنة مثل حساب كتاب اليوبيل وحاييم جزء من كتاب اخترخ لم يكن الحساب القمري الرسمي في اورشليم في ايام المسيح مع اسماه الاشهر التي حفظتها اللغة العربية المصرية : نيسان وحزيران وقموز والبقية . فكان اذن حاييم شمياً (وقد يكون من اصله مصرياً) يدرك من اثني عشر شهراً ومن اثنين وخمسين اسبوعاً وعدد ايامه ٣٦٤ . في حسابهم - كما ينون ان يحلوه في عصرنا - يوم لشهر وايام الاسبوع متقابلة بتنوع لا

يتغير . مثلاً اول يوم من السنة واول يوم من كل ثلاثة اشهر يقع دائماً في يوم الاربعاء . ثم الاعياد مثلاً عيد الفصح وعيد التكفير كانت تقع دائماً في تاريخ محدد . اننا لا نعرف كيف كانوا ينظّمون توافق هذه السنة مع تقدّم الفصول الحقيقي فانه كان ينقصها يوم .

هكذا عاش الاسينيون بجانب المجتمع على حدة متكلفين بممارسات مجاوزة الحد وهم متيقنون ولا شك بانه لا تعوزهم معرفة . اكنهم أهل للعجاب بتجردهم وتزهدهم وجهودهم في طلب الله .

في سنة ٦٨ بعد ان وضع الاسينيون مخطوطاتهم حسب امكانهم في محل أمين . وبينما كان كثيرون منهم حذراً نظن يحاربون او قتلوا في صفوف المقاومين حينئذ ظهر الجنود الرومانيون جنود الجوقة الفريتنية (X<sup>a</sup> Legio Pretensis) . ومدة من الزمان وضعوا في الحراب مراكز مراقبة . بعد ذلك جاء دور مشايخي برخوشيا ثم من بعد ذلك والى اليوم خيم فيها بدويون . هذه كانت نهاية الحياة النسكية اليهودية الحارة بعبادتها الفريدة بنوعها التي كانت قد أنمشت قران مدة اكثر من قرن .

يظهر انه بهذا الحراب انتهت كل حياة اسينية منظمة لا فقط في قران اكن ايضاً خارجاً عنها . لا بد ان ما سببه الموت والاستبعاد من نقصان في عدد الاسينيين القليل كان كافياً للملاشاة الشمة بسرعة دون ان يبقى لها بعد ذلك بقا . بتأثيرها في منظمات دينية اخرى وخصوصاً في الديانة المسيحية .

#### آثار قران والديانة المسيحية

منذ الجيل الثامن عشر خطر على بال بعض الباحثين ان ينسبوا اصل الانجيل الى مصادر اسينية . فريدريك الثاني - ولم يكن له من الجدارة في هذا الموضوع الاشي . زهيد - كتب الى دالمبر ما يلي : « كان يسوع مجرّص المنى اسينياً . كان متشرباً من تعاليم الاسينيين الادبية وهي تعاليم أخذت كثيراً من زينون . هذا رأي ساذج ارتأى به رعماً عن قلة ما كان معروفاً بخصوص الاسينيين او لسبب ذلك متطقلون في تفسير الكتاب المقدس وتاريخ الاديان .

اكتشافات قران فتحت باباً هنا او هناك لتحرّجات قليلة التوفيق في

نشرات كبيرة ومجلات وغير تأليف مخصّصة لجميع القراء . ويحدث في هذا النوع من الكتابات بان لا يبالي الكاتب كفاية بالتدقيق .  
ولو ان هذه التصريحات لا طائل تحتها وليست اهللاً بان نقف عندها فالامر لا يُنكر بان آثار قران قد أتتنا بما يقدر ان يساعدنا على فهم احسن لكب الهد الجديد واصول الديانة المسيحية . درس النصوص الاليسية والمسيحية ومقابلتها ولو انه الى الآن متردّد هو تعزيز الوجود . كما هو تعزيز بالنتائج المكتبة . وبما لا شك فيه ان امكان درس كهذا هو اهم الفوائد التي أتتنا بها اكتشاف قران .

لنقل حالاً بان لهذا البحث صموماته الحصرية فيلزم اذن الدخول فيه بأسلوب دون الانحراف الى جاذبية مقابلات بارعة لكن دون اثباتات مكين او الى اقامة ابنية موهبة على اساس مريب .

من مشابهة بين مثل بودي وقول من الانجيل اي مفكر دزبن يحكم بان احدهما ايأ كان قد أخذ عن الآخر عوضاً عن الاكتفاء بالحكم بان هنالك اتفاقاً عرضاً . في تدريح الاديان حتى في استعمال ما يُسمى الاسلوب التشبيهي لا يجوز اعتبار ادلة بسيطة كبرهان تحقيقي فان ذلك لا تقبله محكمة ولا يرضى به نظام مباحث آخر .

زى اذن انه يجب كلما حدث وجود مصادفة لفظية بين احد آثار قران ونص من الهد الجديد ان نتعاشى تجاوز ما تعنيه فإنها ليست الا دلالة مفيدة ولكنها ضيقة على احتمال وجود استمارة او تأثير فلا يجوز اذن اعلان إكشي . حالاً كأنه امر واضح لا يُرد ولا يُمترض عليه .

يجب ايضاً التحذّر من الميل الى عدّ المسألة سهلة واعتبار شيئاً جوهرياً تمييزاً او عادة او اتجاهاً دينياً ما لا نعرفه الا من كتابات قران وحدها .  
هنا زى ما هي فعلاً قيمة الاكتشافات الحديثة واهميتها فانها وحدها تعطينا نصراً مكتوبة في فلسطين في زمان الانجيل عينه وتطينا هكذا شيئاً مما كان الناس يقولون ويفكرون ويجيرون بموجبه وهذا دون ان نقدر اكثر الاحيان البتّ فيما اذا كان ذلك شيئاً خاصاً « بالهد الجديد » .

والقائدة تبقى عظيمة فيما يخص تفسيراً لكب الهد الجديد . الى الآن

كان ينقصنا الادلة نقصاً تاماً. نعم ان فيلون كان مُعاصراً للمسيح لكنه شاهد من يهود الاسكندرية متكلمي اللغة اليونانية وعلاوة على ذلك انه كاتب ذاتي للغاية اما يوسف فانه يكتب اقدانيه الوثنيين فيشوه كل ما يتنه واحياناً كثيرة بنوع مكرره . وهكذا ما كان لنا لايضاح كتب العهد الجديد وسائط الا التآليف اليهودية المتأخرة اي المشنا والتلمود والمدراشم ومعلوم ان هذه الادلة هي مُخَيَّبة فانها كُتبت بعد سنة السبعين حيث كان خراب الهيكل بستين عديدة ولم تكن اذ ذلك الا ذكريات عن الحدم الدينية البائدة . الحزب الصدوقي اضحلّ حالاً بعد خراب الهيكل والحزب الاتسني أهمل . اما الكعبة ورثة التقليد الفريسي وحده فسروا او تناسوا كل ما في الماضي الا هذا التقليد علاوة على ذلك انهم بعقليتهم الفقهية كانوا أكثر اهتماماً بتدوين ما كان يجب ان يكون ما كان فعلاً . وهذا ما أسكن المفسرين المتقاعدين الى قبول ما كتبه عند كلامهم عن المشاء السري من وصف رتب المشاء الفصحى اليهودي بتدقيق حتى انهم ذكروا لون « الشاروست » الشهيرة ثم في كلامهم عن نكران بطرس الرسول بجشوا عن شرعية وجود الديك الصائح في اورشليم احسن من هذا : كان في امكاننا ان نكتل ما نعرفه عن شخصية الفريسي ونؤكد صحة التمديت التي اعلنها المسيح واهميتها (العلقانات الباطلة والتدقيقات المفرطة بخصوص حفظ السبت وحلّ المشاكل الذمّية بنوع غير عقلي وبقلة استقامة) . لكن في كل مجموعة النصوص التي يعطيها بليربك عبناً نفثش عما يدننا على ما جعل كرازة المسيح تجدد نفوساً مستعدة للاصفا. اليها نفوساً تهتر بعد لوهي الانبياء . ولم تهتر لها مشروعية قانطة .

الاسيونيون بما تركوا لنا من آثار كتابية يزياون جزئياً هذا التقصان ويجطلوننا بفكر بوجود قدّين مختلف جداً من التدين التلمودي عند « اسراييلي قانا او بيت فيدا الحقيقي » فانهم ازا. رسوم الكمال المسيحي المقبل الموجودة متفرقة في كتب العهد القديم وموعظة المسيح على الجبل او رسالة القنديس بولس الى الرومانيين هم ولربنا وحدم هموا بتماسة تمايلها السامية او على الاقل كانوا شهوداً لما عاينوه من حفظها والتعتق فيها .

كان الانبياء . قد استنكروا زهو الاغنيا . فبدأوا هكذا بتعظيم الفقير .

المظلوم . في الزمير صدى صوت الانبياء يجيد « الايرون » اي التقير فسا لله هو ثوته الوحيدة . اننا لا نجد شيئاً بهذا المعنى عند ابن سيراخ وهو الصدوق السابق بينا نرى في الاناجيل « الفريسيين وكانوا محزين للمال » يهزأون بالمسيح لانه اعلن « لا تقدر ان تخدموا الله والمال » .

( لوقا ١٦ : ١٤-١٣ )

اما يسوع فكان يقدر ان يعلن : « طوبى للفقراء » وكان الجمع يفهمه وكان هو يقدر ان يدعو يعقوب ويوحنا لترك شياكم ومتى لترك مائدة الجياية وكانوا يطيمونه والى الشاب النبي يوجه هذه الدعوة : « ان كنت تريد ان تكون كاملاً اذهب وبع كل شيء لك وأعطه للساكين فيكون لك كثر في السما . وتمال اتبني » .

( متى ١٩ : ٢١ )

ولم يكن للشباب هذه الشجاعة لكنه كان قد فهم ( غيره بعده بثلاثة اجيال سمع هذه الدعوة : انطوان ) . اذن تغير الفريسيين المستهزئين كان معنى لمُدخ القتر حتى وللدعوة الى ترك كل شيء . لخدمة الله وقد فهم هذا المعنى بنوع اخص في قران وفي مجال اخر حيث كان الاسييون مجتمعين على الأقل عشرة اعضاء معاً .

وبنوع طبيعي كان الزهد قد قاد زاهد قران الى التبخل الاختياري ولا بد انه محص فيه معنى البتولية . لم تكن الازمنة اذ ذاك ازمة الآباء الاقدمين والملك داود . كان للهد القديم من هذا النوع سابقاً عظيم ارميا الذي صار ضحية لرسائله النبوية .

( ارميا ١٩ : ١ )

يعظم كتاب يهوديث ممارسة للبتولية في توأمها وقد افتدت بناحة النبوة .

( لوقا ٢ : ٣٦ )

اسراع الكنيسة في القرون الاولى الى تكريم البتولية الا يدل على - وابتغى اخرى . انها كانت عند الاسييين في قران ولا شك في غيرها ايضاً من الاماكن . سر زواج يوسف ومريم هو من طبعه امر مبهم لكن صهوية فيه هي اعظم لمن لا يرى شب الله الا خلال ما يعرفه من قصص سفر التكوين والقوانين الرتيبية ( طالع : ريتي لورانتان ) :

( Structure et Théologie de Luc I-II, Note annexe. 2 pp. 176-188 )

ان يولس الرسول في رسالته الى اهل غلاطية ورسالته الى اهل رومية اضطر الى دحض البلاجية قبل ان تكون وهي بلاجية مشددة عند اليهود وعند اليهود - المسيحيين سبني الإهتداء فانهم كانوا فخوريين باعمالهم متبئين بانهم يصلون بواسطتها الى الصلاح . هذه الافكار الساذجة مخصوص علائق الانسان بالله وهي افكار فرسي الانجيل فان التعاليم اليهودية التي نجدتها في التلمود خاطرت بالنفوذ الى الكنيسة .

قبل ذلك وعن بعد ، نصوص من كتب الانبياء . كانت قد عاوضت هذه البلاجية واضحة في الله مصدر صلاح الانسان ( اشيا ٥٥ : ٢٥ ) « ييهوي يتبرر كل ذرية اسرائيل » ( اشيا ٥٤ : ١٧ ) « هذا ميراث عيد يهوي وبرهم مني يقول يهوي » - ( وازيا ٣١ : ٢٣ ) « اجعل شريعتي في ضمائرهم وعلى قلوبهم اكتبها - ( وحزقيال ١١ : ١٩ ) « واعطيهم قلباً واحداً واجعل في احسانهم روحاً جديداً واترع من لحمهم قلب الحجر واعطيهم قلباً من لحم لكي يلكوا في رسومي ويحفظوا احكامي ويمسوا بها . »

بين مبادئ لاهوت النعمة هذه وتعاليم التديس يولس ما كنا لاحظنا الى الآن بالحقيقة لا اتصالاً ولا نصباً متوسطاً لذلك يأخذنا العجب عندما نصفي في قران الى نشيد الحاطي المتفر :

وقلت : من سبب خيانتني طردت من عهدك .  
لكنني تذكرت قوة ذراعك وغرارة رحمتك .  
فتأدبت وقت .

فتثبتت روحي اِزاء التماسة .

لا في اعتمدت على جودتك وعلى غرارة رحمتك .

نعم انك تسامح في الاثم .

ويعدلك تطهر الانسان من الخطيئة ( النشيد الرابع )

ألا يطبي هذا النشيد صوتاً لسلوك الحاطة الصامت ( الحاطة التي يتكلم عنها انجيل لوقا ) أو ليس ايضاً تنظيمياً لصراخ العشار الذي جله الله اكثر برارة من الفرسي المدعي بالبرارة .

الانسان في كل اعماله هو بين يدي الله وبمجاة الى عونهِ ليصل الى البرارة :

كن مباركاً إلهي انت الذي تفتح للعالم قلباً عبدك .

وطد كل أعماله في البرارة .

وامنح لابن عبدتك .

ان يقف الى الابد امامك .

لان الطريق ليست كاملة دونك .

ودون رضاك لا شيء . يكون .

( النشيد الاخير من كتاب التهذيب - فرانسوا من ١٥٧ )

اما انا فاعلم بان البرارة ليست للانسان .

ولا للانسان كمال الطريق .

( النشيد الرابع - في الكتاب عينه ص ١٩١ )

بميد بعد هو تعليم بولس الوطيد لكن عبارات كهذه تشير الى قرب مجيئه .

يعرف الاسيني بانه ليس صنع اعماله وان عليه ان ينتظر من المدل الالهي التطهير

والفران والمقدرة على العمل الصالح .

هذه هي على ما تبين لي الاعمال الثلاثة الكبرى او السياق والذي دخلته الذي

اندججت فيه الاسينية لاعداد النفوس الانجيل : معنى الفقر والرهد واعتبار التبث

الاختياري والتأكد بان الانسان هو في كل شيء خاضع لله ومحتاج الى عون

ليكون باراً .

من مطالعة كتاب التهذيب وتاريخ يوسف يأخذنا العجب لرؤية الديانة

اليهودية قد توصلت الى تأسيس حياة رهبانية حقيقية من النوع النسكي وهو فيما

يختص بتقسيم الاعمال اليومية قريب جداً من حياة الترابيست . هل يمكن

وجود مقابلات اكثر غرابة . والحال يظهر جلياً بان هذا التشابه ليس الا توافق

عملتين مستقلتين الواحد من الآخر لم يعرف كتاب التهذيب لا القديس باكوم ولا

القديس باسيلوس ولا القديس مبارك ولا القديس برزودوس ولا الاب دي

رانسي والامر اكد بانهم لم يستوحوا يوسف في عملهم .

لكن الاسينية ولو انها بخير ما فيها قد أعدت الطريق للانجيل لم تكن

قابلة للاعجاب اليه ولا بد انها أوقفت بعيداً عن المسيح كثيرين من قباها

المتسكين بها .

في هذا التسك بالاسينية كما في كل التقاليد الشريفة ترى ما يستحق الاعتبار وفي بقاء هؤلاء الاسينيين أوفياء لاسم صادوق الكاهن الاعظم . لكن هذا منهم من الذهاب الى الامام فان الزمان كان قريباً فيه يسبح الله بانتهاء ذبائح الهيكل وبالتخلي عن كهنوت هارون .

رب العدل لم يعرف كالمسيح بعده ان يضع كمال الاعمال في النية التي تحبها فأفضى لذلك كالفريسيين الى طلب اهم ما في الصلاح من الاكثار في المراسيم الدينية والتدقيق فيها ولو خالفت المحبة الاخوية والمقل السلم ومن هذا نتجت المزايده ومما تمصب البليد البيض لتنتج شريرة السبت حتى وللموت عينه اذا سقط انسان في البذ يوم السبت ولم يكن بالامكان انقاذه الا بواسطة سلم او جيل . من ذلك ايضاً الاكثار من الاستحمام التام والوصايا المختصة بالطباخة . عندما كان المسيح يقدم الفريسيين في امور كهذه كان يلمح ايضاً الى ممارسات الاسينيين دون ان يذكر اسمهم .

كان الاسينيون اكثر بعداً من روح المسيح ببعضهم - وكثروا يعتبرونه عملاً دينياً - لا فقط للشر لكن ايضاً للاخاطى نفسه « ابن الظلمات » و « رجل بليعال » اذا كان من « الحثيم عباد راييم او من الفريسيين او من كهنة اورشليم او من جاحدي عهدهم . اما يسوع فيضع في محبة الاعياء اقتداء من الدرجة الاسمي بكمال الآب الساهوي .

هذا الشعور وقد شدته عقيدة تحديد المختارين السابق كان يحمل الاسيني على الاهتمام بذاته وبعبده لا بغيره دون مباشرة عمل هداية بقية اسرائيل والوثنيين الى الكمال الذي يتوخاه . اما المسيح فقبل أن يرسل تلاميذه الى الشعوب لدعوتها ابتداء هذه الرسالة هو نفسه بالعجائب التي صنعها لتائد المئة وللرأة الكنعانية وزيارة السامريين .

ان انتظار الاسينيين للمسيح المقبل كان هو ايضاً لا عوناً لكن عائقاً للانجيل . بالحقيقة لقد اعلن رب العدالة بقرب اتمام اقوال الانبياء . ويوم الدينونة وهذا الاعلان يذكره الاب المحترم دانيلو بحجة واعجاب بهذا الشخص كأنه هو ايضاً نبي حقيقي أقامه الله ليبدأ رسالة يوحنا السابق . لكن ابي المسيح كان ينتظر الاسينيون . « قانون الحرب » بينه بقتال ليس قط روحياً فانه يظهر

في نور ضئيل مسيح هارون ومسيح اسرائيل ولا تعلم هل هما اثنان او مسيح واحد ونجهل المهمة التي من اجلها أرسلوا . لم يكن للروح القدس شركة في النبوءات وهي قريبة جداً مما ينتظره الشعب من مسيح هو بالاحرى رئيس زمرة مهته طرد الرومانيين .

( يوحنا ٦ : ١٥ )

في التأليف التي ظهرت الى اليوم بخصوص قران لم تر من حاول مقابلة بين الاينية والانجيل كما فعلنا نحن هنا باختصار . هذا بالخصوص في كتاب صغير للاب دانيالو : « مخطوطات البحر المائت واصول الديانة المسيحية » .

( باريس : مطبوعات الاورانت ١٩٥٧ )

قد لفت انتباه المؤلفين موافقة عوائد او تعاليم او عبارات بين حياة كنيسة العصور الاولى وحياة الاينيين وبين كتب العهد الجديد ومخطوطات المناور . ان كتاب الاب دانيالو - المؤلف شهير وحاذق - يجتري دون شك على كثير مما تقدم من هذا النوع مع ملاحظات جلية بخصوص الاختلافات بين الانجيل والاينية لكن لعل ماوردته لكل ما هو جيد خارجاً عن السديانة المسيحية حملته على الافراط بالاعجاب ببعض ابطاله وخصوصاً برب العدالة . فبل أتبع اسلوباً هل وجد وغماً عن سهاته المدينة وقتاً كافياً للتفكير فيتمكّن من تحقيق قيمة المقاييس التي اخذها من غيره او وجدها هو نفسه . للاكتفاء .

بئس واحد نسال هل يوجد حقاً مقابلة ممكنة بين ما يفنيه قول المسيح : « الذي يمس يده معي في الصفحة هو يلسني » والنظام المفروض في قران بان للكامن الحق بان يضع الاول يده على الحجر . والقديس بولس لم يكن له حق باستعمال آية حقوق الشهادة « البار يحيا بالايمان » دون ان يشتم باتباع اثر الاينيين او بجادلة « تأويلهم » ولربما انه لم يقرأ ابدأ .

ننتذر لعدم التوقف طويلاً إزاء هذه المقابلات التي تدعي بالتدقق وقد تكون لكثرتها طويلة مُملة . لنا الامل بان تقدم البحوث سوف يتوصل بعد نص قصير او طويل الى تمييز ما يمكن حفظه من هذه المقابلات وما يتم الاتفاق على اعتباره جديراً بالاعمال .

اول سؤال تقرضه كل مقابلة دقيقة بين قران والانجيل له اسم يوحنا المصدان . قد أثبتنا اعلاه وجوب تأويل رزين متأثر ومع ذلك لا يمكن انكار

وجود علاقات متينة على الاقل بين يوحنا المسمدان والاسينين . انجيل لوقا يعلمنا بان يوحنا كان منذ صغره في برية يهوذا : « وكان الصبي ينمو وكان في البراري الى يوم ظهوره لاسرائيل » ( لوقا ١ : ٨٠ ) . حسب ملاحظة الاب دانيلو « لا نرى كيف يكون هذا الصبي مرمياً في البراري » ( من ١٨ من الكتاب عينه ) . هذا ما يجعلنا نفكر بانه عاش فيها ضيقاً حياة زهد حسب مستقبله عند اتاس امنا . واكبر سناً منه وما هؤلاء الناس الا الاسيتيون إما في قران وإما بالاحرى في محل آخر اقل بعداً من اهلهم . ليس في « كتاب التهذيب » او في « أثر دمشق » ما يدلنا على ان الاسينين اهتموا بالتربية ولا يُحتمل إلا قليلاً ان يكونوا مارسوها في قران عينها . لكن يوسف ينب اليهم هذا العمل بما تعودوا من التفخيم : وهذا ما يجعلنا على التردد .

على شراطي الاردن يوحنا فتى يافع مجيأ حياة زهد مؤثرة شبيهة بحياة مجاوريه ويمكن انه شاركهم مدة من الزمان الحياة في مغاورهم او كهفهم الكبير في طاعة رؤسائهم . لكن هذا امر يحتاج الى اثبات ولا نأخذ على نفسنا ان نقول بانه محتتمل .

على كل حال يوحنا في ايام رسالته كان قد استقل عنهم ولو فرضنا بانه حفظ من تربيتهم ومن معاشرتهم انواع الصلاة وممارسة التوبة وعبادات مختصة بهم كثيراً او قليلاً ثم انه دون اسر او سباح منهم باشر رسالة بانه لا يتفق البتة مع قوانينهم فانه عوضاً عن ابعاد الخطاة عنه يجتنبهم اليه ويأتي بهم الى التوبة ويمدحهم لمجيئهم . ملكوت الله وهو ملكوت روحي ديني لا غير . كما هذا التصرف هو مختلف من « قاعدة الحرب » . ان الاميني متعصب الاستحسان لكنه يدخر ذلك له وحده ولا يقصد به الا الطهارة الشرعية . اما يوحنا فيعرض عماده على الخطاة وحدهم ليساعدهم بهذه العلامة التي تدل على انواع من الهاد اكثر فاعلية وعلى فداية اكثر نفوذاً واكمل . هو الزاهد المشدد في زهده يبني لهؤلاء الخطاة ارشادات دون جفاء ولا شدة قانه مثلاً لا يأمر المشاكين بترك مهنتهم لكن فقط بحفظ شرائع العدل . يجتمع حواليه تلاميذ يملئهم الصلاة والبصوم بموجب نظام قد يكون شبيهاً بنظام حياة الاسينين لكنه يتنوع من الحاقهم بقميران .

لا ندري ان كان ممن سبب اعماله التائبة هذه كموضوع لنته مجاوريه وممدوداً  
كخائن او بالمكس كان له ولتلاميذه معهم علاقات ودية .  
يمكن انه بواسطة تلاميذ يوحنا نفذ شي. من الاسيئية الى الكنيسة فانهم  
على مثال معلمهم كان لهم حياة روحية تشبه الحياة في قران وكاترا يارسون  
مراسم مشابهة مع مراسم قران ويستعملون عبارات جارية في هذه الشيعة لذلك  
لربنا كانت الروح الاسيئية قد أثرت فيهم لا بامور جوهرية لكن بكثير من  
تصرفاتهم . بين هؤلاء التلاميذ كان تلميذا يسوع الاولان اخدم اندراوس اخر  
بطرس والآخر قد يكون يوحنا الانجيلي ولا شك انها ليا الوحيد بين الذين  
مروا من يوحنا الى يسوع الذي كان يوحنا يبشره فغيرهما قد تبعه مدة حياة  
رسالته او فيما بعد .

يلزم ان نبعث بتاتا فكر اقامة يسوع نفسه في قران . هل كان له مع  
الدير علاقة ما . هذا على الاقل امر نشك فيه . نعم ان جماعة قران كانت حارة  
في العبادة لكنها كانت هائجة فيها لذلك كان للانجيل صعوبة اعظم للنفوذ فيها  
من صعوبة النفوذ في الفريسيين رغماً عن تعصبهم . لا بد ان بعضهم تركوا حوزهم  
للالتحاق بالمسيح : نفوس كثيرة بندوا من الشيعة لما أحسروا فيها من نقصان .  
لربنا كانت الجاذبية اعظم في غير محال في الجليل مثلاً عند الاسييين المشين  
في جماعات صغيرة او عند المحتاطين بهم المحبدين . على كل حال كل ما نقله  
في هذا الصدد ليس الا تخمينات .

قلنا اعلاه باننا لا نتري اعطاء قائمة هبة من المقابلات اللفظية التي تلاحظ  
بين الآثار الاسيئية والمهد الجديد لكننا لا نعني بذلك أننا لا نعتبر غير صحيح  
ما جرى من بحث في هذا الموضوع .

يجمع الباحثون على ان الاناجيل الثلاثة الاولى لا تحتوي الا القليل النادر  
من هذا النوع . ان اصل هذه الاناجيل هو التعليم فليست اذن غايتها ان تعطي  
عقائد لاهوتية او ادبية يبراهينها القياسية لذلك قد اكتفت بنقل تعاليم المعلم  
كما كان يلقيها على الجموع لا كما كان يحدث له ان يجادل بها نيقدوس او  
الفريسيين بنوع مشدد .

بالعكس عننا مقابلات بين قران ورسائل القديس بولس وفي الانجيل

الرابع وايضاً في الرسالة الى العبرانيين .

الاتفاق بين قران ويوحنا الانجيلي يلاحظ خصوصاً في كثرة استعمال الالفاظ : النور والظلمات وكلاهما عندهما العبارة « نور الحياة » . لكن رغمًا عن هذه المقابلة الفرق بينها عظيم فان يوحنا ينظر الى النور عينه بخلافه يظهر شخص الكلمة المتجسد الذي جاء الى هذا العالم . اما الاسينيون فيعرفون خصوصاً «ابنا . النور» و«ابنا . الظلمات» وهي لهم عبارات 'محملة بنقطة لا تحاول الشيمة اخادها وبالعكس المسيح محمد حية «ابنا . الوعد» .

كان بولس قريباً لم يكن له تعلق بالاسينيين . لكن رأينا ان الاناشيد الاسينية وحدها - تطرأ الى ما عندنا حتى الآن من الآثار - تدلنا على تعليم اسراييل فيما يخص عقيدة التبرير . نلاحظ ايضاً بعض الشبه بين معرفة واجبه باعلان سر عظيم والامتياز المنسوب الى رب العدالة «باعلان كل اسرار اقوال الانبياء . خدامه» . بصواب ينتج الاب دانييلو من ذلك اثباتاً بان القديس بولس لم يكن بحاجة الى اخذ عبارات وافكار كهنة خارجاً عن التقليد اليهودي . في اوائل الديانة المسيحية كما نعرفها من كتاب اعمال الرسل نرى جهوداً تُبذل في التنظيم منها وقتية ومنها جازمة .

بين اليهود الاولي وضع كل شيء مشتركاً بين المؤمنين الذي يتكلم عنه كتاب اعمال الرسل (٢: ٤٥) والذي نتج منه حادث حانيا وصافيرا المخزن . لا بد انهم لم يبطئوا ان تركوا هذا النظام الذي ادى الى جصل الكنيسة - الامم المعوزة الكبرى التي اهتم القديس بولس بتدويرها . المقابلة مع قران جلية لكن بينها فرق وهو ان نساءك برية يهودا من اجل زهدهم الشديد في الاشياء المادية وانصباهم على الاشغال اليدوية الثابتة المشرفة لم يوصلهم تحليمهم عن اموالهم الى هذا الحد من العوز .

أىكون تأييد الاسيية هو السبب الذي حمل جماعة اورشليم على التسرع في بيع حقول مئة وأموال اخرى مشرفة اما يكون ذلك بالاحرى رغبة في اطالة أزمته البطولة في الحياة العامة وفي إسعاف الفقراء .

في هذا البيان الذي اردناه موجزاً مخصوص تأييد الاسينية في اوائل الديانة المسيحية نرى مناسباً ذكر رأي عرضته الآتية جوبر (Jaubert) . لقد تأكدت بان

الاسينيين كلوا يتملون تقويمًا كهنوتيًا قديمًا لحساب ايام السنة الشمسية بثلاثئة واربعة وستين يوماً ثم عرضت اسباباً شتى للاعتقاد بان يسوع تبع هذا التقويم عينه ليا كل الفصح مع تلاميذه . في هذا الحال يكون العشاء الاخير ورسم سر الاوخراسنيا قد سبقا بيومين حسابنا اي انها وقعا يوم الثلاثاء . لا يوم الخميس ؛عدة شهادات مسيحية قديمة جداً تبدو لنا كأنها قد حفظت هذه الذكرى ولا ننكر ان هذا الترتيب لحادث الآلام يتفق جيداً مع بعض معلومات الانجيل خصوصاً لانه يعطي المدة الضرورية من الزمان لحضور المسيح امام المحاكم المختلفة . الى الآن لم يرضَ بهذا الرأي الا القليلون ونلاحظ ان مجلة الكتب المقدسة ( Revue Biblique ) لم تذكره بمد قط . لكننا لا نقدر إنكار افادته ورفض احتمال صحته .

ماذا يكون نزع ارتضاء المسيح عيادي الاسينيين بتصرفه هذا هو ورسله . ليس بإمكاننا ان نمجده لكن يظهر جلياً بانه لم يكن للاسينيين تقويم خصوصي لكنهم تمسكوا بالذي عندهم ضد ابتداع تقويم الحساب القمري للخدم الدينية . عدد من الكتب المحرقة يتبمون هذا التقويم الجديد . وزاه ميئاً في كتاب حزقيال حيث يؤرخ النبي رؤياه الاولى بالشهر الرابع وهذه هي عادة التقويم الجديد بتعين الاشهر بالعدد لا باسمها . لربما جماعات اخرى غير الاسينيين كانوا هم ايضاً محافظين على هذا التقويم .

عندنا مشكلة اخرى نعرضها : باستباق الفصح الرسمي اربعمائة وعشرين ساعة او يومين او اكثر يسوع ورسله بعملهم هذا ما كانوا مقاومين جهاراً لسلطات اورشليم الدينية بحيث يظهرون كمنشقين منها ويخسرون ثقة الشعب فانه ولو اننا لا نجد في كتب اليهود المتأخرة دليلاً من هذا النوع لا بد لنا اردنا ان لم نرد من الاقرار بان عدداً من الاسرائيليين الذين كلوا يأكلون الفصح في اورشليم كانوا يبقون اليوم الرسمي وكان تصرفهم هذا مسروراً به . اسباب عملية كانت تجمل ضرورياً هذا التصرف للزوار حتى يجدوا محلاً مراقباً . لم يكن اذن لاستيقام الفصح واختيار اليوم الموافق قبل التاريخ الرسمي معنى غير مقبول .

في كتاب العهد الجديد لا نجد قط ذكراً للاسينيين كما اننا في الكتابات

التي عندنا من قران لا نجد تليجاً واحداً الى كرازة يوحنا المصدان او المسيح ولا الى تلاميذه. قد يكون الاحاح في طلب سبب لهذا السكوت التام. مشكلة لا وجود لها اذ ان هذا السكوت يمكن ان يكون عرضياً ويكون سببه الحقيقي ان الاسينية كانت في اسرائيل قليلة الالهية واننا نرى تجاوزاً للحدود في الاستنتاج بان الاسيين كانوا بنظر المسيح ورسله وبكل معنى الكلمة اصدقاء «اسرائيليين حقيقيين». فاذا اردنا على كل حال تأويلاً لهذا السكوت الذي يزعم بعضهم لرأياء موقفاً صائباً ازا. منظمة مبهمه حيث ليس لا اعداء حقيقيون ولا اصدقاء. جديرون بكل ثقة .

هل يجب التقدم في الزمان بعيداً للتفتيش على آثار لقران وللإسنيين في الرسالة الى العبرانيين وفي اوائل الديانة المسيحية في انطاكية وفي مجال اخرى . هذا مشروع بين لنا خطيراً فانه يتطلب في اوائل الكنيسة مآقي اسينية هبة نوعاً وعدداً. وهذا امر لا يمكن اثباته وبالعكس نشر جيداً في الرسالة الى لاهل غلاطية بوجود مؤثرات فرئيسة شديدة عند اليهود - المسيحيين .

من جهة اخرى ألا يجب ان نذكر بجانب الاسينية وما بين شيياً ببعض مظاهره - وقد اعمله اليهود كما اهلوا غيره كثيرين - الانجاء الذي اطلقنا الترجمة السبعينية وسفر الحكمة وفيلون والرسالة الى العبرانيين والانجاء اليهودي الديني المتكلم باللغة اليونانية ومركزه الاسكندرية وقد نشأ منذ اوائل الكنيسة دون انتظار الاوامر. اخذ الانجاء الاول يبشر بالاعمال لدى الوثنيين: لم يكن هؤلاء. المبشرون فلسطينيين لكن كانوا قبرصيين وقبرصانيين « اخوة تبددوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانس فاجتازوا الى فينيقيا وقبرص وانطاكية وهم لا يكلمون اجداً بالكلمة الا اليهود ولكن قوماً منهم كانوا قبرصيين وقبرصانيين فهؤلاء. لما قدموا انطاكية اخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم فأمن عدد كثير ورجعوا الى الرب» .

( اعمال الرسل ١١ : ٢١-١٩ )

وسوف تعود جهودهم الى العمل بواسطة برنابا. بين هؤلاء المبشرين برز أبيلوس وهو من اعظمهم واكثرهم نفوذاً « منشأ الاسكندرية وهو رجل فصيح

طويل باع في الكتب .. كان يحجج اليهود جبراً حججاً بليغاً مُبيناً من الكتب ان يسوع هو المسيح» .  
(اعمال الرسل ١٨ : ٢٩ و ٢٨)

اليه يُنسب اليوم تصنيفُ الرسالة الى العبرانيين فانها تظهر جلياً كتأليف يهودي يتقن اللغة اليونانية وقد تعلم في الاسكندرية . إن كان قد تحدث كثيرا عن الكهنوت هلاً أمكنه ذلك دون الرجوع الى « العهد الصدوقي » الذي يتكلم عنه « اثر دمشق » اما الجماعة المسيحية - وهي قديمة - التي اليها يكتب فلا يجذبها لا قران ولا المحلات الاسيية الصغيرة لكن رتب الهيكل الرسمية .

هل كان للاسيية تأثير خارجاً عن الديانة المسيحية في مجتمعات اخرى . لربما كان فيمن شارك في تثقيف الايبونيين اسينيون والايونثيون كما نعرفهم هم جماعة تائهة لكننا يهودية فحة تعترف بيسوع نبياً وهي مضادة للقديس بولس . لكن يصعب علينا ان نجد لهم اثرأ كافي الاتبات عند « القنوستين » .

يظهر ان الاسيية بعد نكبة سنة السبعين لم تمس قط حتى ولا في الشعب الاسرائيلي نفسه لكن شيعة يهودية كانت موجودة في الاجيال المتوسطة وهي بد في الوجود الى اليوم تدعي بثرات الصدوقيين وهي شيعة القرائيين وبصفتها هذه قامت ضد التقليد الحادر من القرييين . وأنان مؤسهم قد أثبت من جديد المبدأ القديم الذي يعتبر الكتاب المقدس القانون الوحيد للايمان والحياة الدينية . بهذا العمل تصور تلاميذه بانهم ليسوا ورتة صادوق الكاهن الاعظم لكن ورتة صادوق تليذ انطيكونوس دي سكو الذي عاش في الجيل الثالث قبل المسيح . بعد وفاة آنان او قبله بزمان قليل في سنة ٨٠٠ مخطوطات اكتشفت في منارة قزياً من اريحا - لا بد ان هذا كان متودعاً اسياً قرب قران او في نواحيه - فتأثر القرائيون بالمحل المهم الذي يحتله فيها اسم صادوق واخذوا عنه طريقة سلوك تامة مستندة من « اثر دمشق » . على كل حال نستحان من هذا الكتاب قد وجدنا في جزيرة مجمع القاهرة مع مخطوطات للقرائيين ولا بد ان تكونا من صنهم . بهذا النوع قد بقي شي . بما عمله قديماً رب العدالة .

## اكتشافات برية يهوذا

وما انت به في مواضع شتى.

انتباه العالم كله التفت الى اكتشافات ضواحي البحر المائت لكنه لم يهتم الا قليلاً بغير ما وجد في قران وبنا أنى به من مساعدة لفهم الكتاب المقدس فهماً أوفى او بالأكثر لتبعت بصواب او بغير صواب عن الاسينية والديانة المسيحية .

ينبغي لنا ايضاً ان لا نجهل ما اعطتنا الاكتشافات الاخرى من آثار في قران وفي غير مواقع من برية يهوذا وهي مفيدة لعلوم قديمة شتى إفادة لا يجوز اهمالها لأنها هي ايضاً تأتينا بما هو أهل لاهتمامنا .  
لجئنا هذا نكتفي بطالمة الفصل الاخير من كتاب الاب ميليك واعطاء موجز منه .

يلاحظ المؤلف اولاً ان مجموع المخطوطات المكتشفة تمتد تاريخها الى القمي سنة تقريباً . احد اوراق بردي « المرثعات » وهو الاقدم عندنا باللغات السامية يتصل بالجيل الثامن قبل المسيح . نقرأ فيه اللغة العبرانية مكتوبة بحروف فينيقية : اربعة اسماء علم واعداد . ومن جهة التاريخ الاحدث عندنا آثار خربة مبرد : قطع عربية مكتوبة على ورق .

ثماني لغات تظهر في الآثار هذه وهي : اللغة العبرانية للكتاب المقدس وعبرانية الميشنا والآرامية الفلسطينية واللغة النبطية واللغة اليونانية واللغة السريانية الفلسطينية واللغة العربية .

في قران اكثر الآثار الا الكتاب المقدس هي باللغة العبرانية الصحيحة ويمكننا ان نسمي الجديدة وهي اللغة المائتة عالجها اصحاب اللغة لتوفيقها مع الظروف الجديدة على قدر استطاعتهم كما فعل كتاب عصر الانبياء للغة اللاتينية .

بعض القطع خصوصاً المدرجان النحاسيان هي مكتوبة بلغة مختلفة قليلاً باللغة التي ستظهر فيما بعد في الميشنا وهكذا تكون شهادة حياة العبرانية الى عصرها وهي مترجمة اقل او اكثر باللغة الفينيقية في بعض الاماكن .

الكتبان نكبة سنة السبعين ونكبة سنة المئة والحس والثلاثين جاءت بالشؤم  
لهذه اللغة القليلة الانتشار لثة فلسطين الارامية التي تكلم بها المسيح نعرفها  
بتاريخ اقدم منه بكثير في كتاب دانيال وبتاريخ احدث بأثار يهودية شتى .  
قران ترد الينا نصوصاً معاصرة لاوائل تزيحنا . يوماً ما سوف يساعلنا هذا في  
توضيح بعض تفاصيل كتب العهد الجديد .

اللغة السريانية - الفلسطينية وهي لهجة ارامية من النوع الغربي اتخذتها  
الكنائس الملكية زمناً قليلاً قبل الفتح العربي ممارسة للغة السريانية ولكنها  
لم تقدر على مجاراتها ولو عن بعد لانها تأخرت كثيراً فلم يكن لها زمان كافٍ  
لذلك . كان يوجد مخطوطات بهذه اللغة اكتشف اكثرها خارجاً عن بلادها  
الاصلية خصوصاً في سينا وفي جامع الامويين . دير خربة ميرد تعطينا غيرها  
وفي بلادها عينها مع قطع غيرها باللغة العامية . لكن اثن ما جاءنا لفائدة  
درس اللغات والاصول السامية هي عدة مخطوطات نبطية نجد فيها بالخصوص  
مباينة طويلة بها وارث يسترجع اموالاً بيعت بالزاد . قراءة هذه المباينة وادراك  
مناها توصل اليها الاب ستاركي . الى اليوم كانت اللغة النبطية تُعد بين اللغات  
التي لا نعرفها الا من تواريخ القبور وكتابات اخرى قصيرة قليلة العدد .

اكثر صعوبة من علم اللغات هو علم الكتابات القديمة وتحولاتها لكنه  
كالفنار القديم مفيد جداً ولو تأهولاً نعلم الآثار . الى اليوم فيما يخص اللغة  
البرانية قبل تزيحنا وفي اوائله لم يكن لدينا الا كتابات والأحداق وهذا  
كان كافياً للتخصيص لاكتشاف قدم تاريخ مدرجات قران . من الآن فصاعداً  
هذه المدرجات والقطع التي وجدت معها تكون ادلة كبيرة الثمن وقد انتجت  
نتائج غزيرة .

من اهم هذه النتائج المقابلة بين ما وجد في قران من نصوص الكتاب  
المقدس ونصوص « المربيات » للكتاب عينه . النصوص الاولى هي اقدم من  
سنة ٦٨ فهي اذن اقدم من مجمع الرّبانيين الذي اقم في جينا سنة ٨٠ وعنه  
تكلنا الميثا والذي حدد نهائياً نصوص الكتاب المقدس البراني . نجد فيها  
فروقاً بالمقابلة مع هذا النص وهو مصادفة المثل الاصيل ولو اختلف شيئاً ما من  
الترجمة السعينة . نجد فيها ايضاً حروفاً كتابية مختلفة أهملت لقدمها . نصوص

الرتانيين ليست فقط مقورة بنائياً بذاتها لكن ايضاً بنوع كتابتها ولا بد اننا فرضت في جنيا .

اخربة فران تكلنا عن تمرد اليهود الاول سنة ٧٠-٦٦ . في وادي المرتبات نرى آثار التمرد الثاني في عهد الامبراطور هادريان (١٣٥-١٣٢) . لا بد ان التمردين اتحدوا كلاجي المناور في هذا الموقع بقيادة يشرع ابن جلجولة وكان لهذا علاقات مباشرة مع بر كوكبا الشهير رئيس التمرد الاعظم . الى اليوم كنا نعرف لهذا تسمية مدح بر كوكبا ( ابن الكوكب ) وكنية بر كوزبه ( ابن الكذبة ) . في المرتبات نعرفه باسم ثالث باسمه الحقيقي شمون بر كوزباه ( ويكون مناه : الكزبرة . ولربنا تكون تسمية حرب ) . اغرب القطع رسالة منه الى يشرع بر جلجولة ولا بد انها بخط يده فيها يظهر ذا حاسة شديدة : « يشرع بر كوزبه الى يشرع بن جلجولة والى رجال الموقع . السلام . آخذ السماء شاهداً ضدي اذا عمل احد الجليليين الذين هم بينكم معاملة سيئة اذ ذاك سوف اقبه رجلك بالحديد كما فعلت باين ابلول . كتب شمون بر كوزبه » .

قد يكون هؤلاء الجليليون لاجئين يهوداً من الجليل اخرى ممن ان يكونو مسيحيين وقد اساء بر كوزبه معاملتهم حسب القديس يوستينوس القيصري . ولربنا يكون سوء المعاملة عدم اعطائهم كل حصتهم من المأكل في اوقات المجاعة هذه في ايام حرب .

نهي بيذه الرسالة القصيرة بعث بها راهب لارشيخندريته تحية لحربة ميرد وهي اقل غنى من غيرها بالاكتشافات الكبيرة :

« من قبل المبارك من الرب والمخاطب غريبال الى رئيس منارة ملبينا وآباتا ارجوك الصلاة من اجلي من سبب القبيلة فان قبي يرتجف بخصوصها . ليكن معك السلام من قبل الآب والابن والروح القدس . آمين » .

صوت مؤثر في سر هذا الدير الذي بدوره سقط في الاعمال . صوت شاركها اتفاق الحفريات الحديثة وقد ابتعدت باصوات اسلاف قران فاضحت بعد المسيح وفي شريكته وقد رُست بعلامة الصليب صدى اليهود التي بدأت يسبها في شريعة موسى نفوس كريمة تركت كل شيء في طلب الله .